المقالات

ننشر في هذا الباب كل ما تهمُّ مطالعته من المقالات الفلسفية والعلمية والادبية والتاريخية والعمرانية مما لا يدخل في باقي ابواب المجلة ويكون جامعاً لطلاوة الجديد وفوائد المفيد

رد رنان على حارميه ومناظريه

الروحيين والماديين

من كتاب تاريخ الرسل التابع لتاريخ المسيح

اتينا في الاجزاء السابقة على خلاصة كتاب تاريخ المسيح كما كتبه الفيلسوف رنان ولم نبقِ منه سوى بضعة فصول موضوعها الحوادث التي تلت انزال السيد عن الصليب وسننشرها في الكتاب الذي شرعنا في جمعه على حدة كما اعلنا في الجزء السابق. وقد ذكرنا في ختام هذا الموضوع في الجزء المذكور الغرض الذي لخصنا من اجله هذا الكتاب وهو :

(١) اطلاع قراء اللغة العربية على تاريخ اهم حركة اجتماعية غيرت وجه العالم وبسط حالة الشعوب في زمن حدوث تلك الحركة وهو ما عبرنا عنه بتاريخ الوَسط الذي نشأت الديانية المسيحية فيه . ولا يخفى ان هذا التاريخ لا يُكتب الا من وجه تاريخي اي غير ديني .

(٢) تذكير البشر بالفضائل الانجيلية المنطبقة على النواميس الطبيعية التي تُبنى عليها كل ديانة صحيحة . والنداء بان كل ماخرج عن هذه الفضائل يُعد شيئاً عرضياً وجوده وعدمه سيان

ومما يسرنا ايراده انه كان لهذا التاريخ فوائد اخرى لم نكن نتوقعها . ولما ذكرها لنا اصحابها كانوا كمن يطلعوننا على امر جديد لم يخطر لنا في بال . فبعضهم اتانا وقال ضاحكاً : « انني كنتُ مسيحياً بالاسم قبل مطالعة مقالات رنان فاصبحت مسيحياً بالاسم والجسم بعد مطالعتها فلا ريب عندي ان الجامعة خدمت المرتابين والمشككين في قوة الحقيقة المسيحية انفع خدمة » . وبعضهم (وهو من الوعاظ الانجيليين) قال لنا ما نصه « انني مسرور بنوع خاص من مقالات رنان لانني رايت اخواننا المسلمين مقبلين على مطالعتها اقبال المسيحيين عليها فلا ريب عندي ان عقلاءهم يقفون منها على حقيقة الديانة المسيحية ويغيرون رايهم

فيها » . نقول وقد قال حضرة الواعظ هذا القول وهو يجهل ان جناب شوقي بك شاعر الحضرة الخديوية قال الابيات التالية في وصف الشريعة المسيحية وصاحبها

ولد الرفق يوم مولد عيسى والمروآت والهدى والحياء
وازدهى الكون بالوليد وضاءت بسناه من الثرى الارجاء
وسرت آية المسيح كما يسري من الفجر في الوجود الضياء
تملاء الارض والعوالم نورًا فالثرى مائج بها وضّاء
لا وعيدٌ لا صولة لا انتقام لا حسام لا غزوة لا دماء
ملك جاور التراب فلما ملَّ ناب عن التراب السماء
واطاعته في الاله شيوخ خشعٌ خضعٌ له ضعفاء
اذعن الناس والملوك الى ما رسموا والعقول والعقلاء

ولكن هنالك فائدة اخرى وغرض اخر من نشر هذا الكتاب لم نُشر اليه بعد مع انه من اهم الاغراض التي تقدمت الاشارة اليها . وهذا الغرض هو تقريب طوائف البشر بعضها من بعض وتعليمها التساهل ليحتمل بعضها بعضاً و يعرف جميعها ان الحقائق والفضائل ليست خاصة بامة دون امة ولا بفريق دون فريق لان الخالق تقدست اسماؤه اله للجميع لا اله شعب خاص ولا امة خاصة . واذا كان ابناؤه البشر منفقين على الحقائق الاصلية التي مقتضاها عبادته وطاعة نواميسه الطبيعية وشرائعه الادبية واحترامه بجعل القوة والحياة التي اعطاهم اياها مصروفة الى الخير الحقيقي والفضيلة الحقيقية لا الى الشر والجهل والبغض والوهم فما الذي يوجب عليهم بعد ذلك ان يتقاطعوا و يتدابروا و يعتبر بعضهم بعضاً اعداء لا يهنأ لهم عيش الا بادخالهم تحت سلطتهم او افنائهم من الوجود . فما كان اسعد البشر وما كان اكملهم لو كانوا يتبعون هذه الحقيقة الازلية الابدية التي يحومون حولها وقلما يدنون منها . وليس المراد باتباعها ان يترك كل واحد منهم ما في يده و يتبعها . كلا فان هذا القول لا يقوله الا من يجهل ماهية النواميس الطبيعية التي مقتضاها تشعب الاراء واختلاف المذاهب لان الوحدة امر مستحيل في العالم . واي شيء في الكون تجد فيه وحدة عامة ليجوز طلب الوحدة في الآراء والمذاهب . ان ناموس الطبيعة ونظامها قائم على « التنوع في الوحدة » لا على الوحدة . ولو كانت الوحدة عامة في العالم لكانت المعيشة فيه مملوءة مللاً وضجرًا . فلا ريب اذًا ان الآية « ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة » ليست حقيقة دينية فقط بل هي حقيقة طبيعية ايضاً تنطبق كل الانطباق على لباب النواميس الطبيعية . ولكن

المراد بذلك الاتباع ان لا يفضل البشر العرض على الجوهر والقشر على اللب والتراب على التبر ولا يدعوا انفسهم يخدعون بسلطان الوهم والمصلحة الذاتية التي من مصلحتها تفريقهم وابقاؤهم في ظلام الجهل والوهم ليكون لها سلطان عليهم تستعمله في اكثر الاحيان لمنفعتها لا لمنفعتهم ولا سيما في زمن مادي كهذا الزمن الذي شوهت شراهته المادية كل النفوس حتى بلغت نفوس الرؤساء

واذا كان ما نشرناه الى الآن وما ننشره فيما يلي مفيداً في تابيد تلك « الحقيقة الازلية الابدية » التي اشرنا اليها وتوجيه عقول الوف من قراء الشرق وافاضله الى جهتها فاننا نعتبر انفسنا اننا قمنا بما كان يجب علينا . واذا كان صوتنا الضعيف اول صوت ارتفع في فضاء الشرق بهذا الموضوع فما الفضل في ذلك الا للاحوال التي كانت ملائمة له واستعداد نبهاء الشرق وافاضله من كل حزب لطلب الحقيقة المجردة عن الاباطيل والفضيلة الخالصة من كل شائبة .

ولكن هل ان هذا الحزب الجديد الذي يجتمع فيه اناس من كل الاحزاب ينمو ام ينقص في مستقبل الزمان ؟ ذلك امر يتوقف على مجرى الافكار المستقبلة وعلى حسن سياسة الرؤساء او فسادها . فاذا كان الرؤساء يضيقون حلقة الاخاء على البشر و يبقون على اهتمامهم باعراض الامور دون جواهرها واتخاذ الرئاسة آلة لتحصيل الغنى والجاه وقوة السلطان دون اهتمام بالفضائل التي يُبنى عليها الدين والاجتماع فلا بدّ من تكاثر هذا الحزب . و يومئذ يصبح الرؤساء الذين هم عماد كل مجتمع في حالة لا يحبها احد لهم . واما اذا كانوا يعدلون عن المبداء القديم الى مبداء جديد مبني على الاخلاص للشعب وترك الاطماع والثروة لابناء العالم وتقديم الفضيلة الدينية على النقاليد فانهم يكتسبون كل القلوب و يزدادون رفعةً في عيون الناس اجمعين

كتاب تاريخ الرسل

بقي الآن ان نعود الى تاريخ رنان . فنقول انا نشرنا منه الآن « تاريخ السيد المسيح » ونحن نشرع الآن في كتابة « تاريخ الرسل » الذي هو تابع له . وموضوع هذا الكتاب اعمال الرسل بعد المسيح . وسيرد فيه وفي ما يليه تفصيل انشاء التلامذة الكنيسة الاولى في اورشليم وما لقوه من الاضطهاد فيها وطريقة انتشار الديانة المسيحية بعد السيد

وتزاحم تلامذته على العمل . ويتخلل ذلك كلام بديع عن حالة مصر وسوريا وفلسطين في ذلك الزمان وعلاقتها بالامبراطورية الرومانية وخراب اورشليم وتشتيت اليهود ثم سقوط الدولة الرومانية . ومما لا يحتاج الى بيان اننا نكتب هذا التاريخ من الوجه التاريخي ايضاً ونترك للمؤلف عهدته مع حذفنا منه كل ما يجب حذفه حباً بالاختصار ومراعاة للزمان والمكان . اما المسائل الدينية فلا نبحث فيها قطعياً

وقبل الشروع في تلخيص هذا الكتاب نود تلخيص المقدمة التي قدمها المؤلف له رداً على حارميه ومناظريه . وبيان ذلك انه لما انتشر تاريخ السيد المسيح صدر امر من الكنيسة الكاثوليكية بحرمان رنان منها كما حرم المجمع الروسي المقدس الفيلسوف تولستوي في العام الماضي . وانهالت الردود على صاحب الكتاب . وكان الرادون عليه فريقين . فريق الاكليريكيين ولا حاجة الى ذكر براهينهم لانها معروفة . وفريق الملحدين وهؤلاء عنفوا المؤلف لانه اعتمد على الانجيل في كتابة تاريخه واثنى على المسيحية وعلى العواطف الدينية ثناءً لا يصدر عن اعظم انصار الاديان . وسنلخص في ما يلي ردود رنان على الفريقين كما وعدنا في صدر ترجمته لانه قال فيها اقوالاً يجب اطلاع الناس عليها لانها مما يساعد على تربية التساهل والاعتدال في النفوس ولاسيما ما كان منها متعلقاً « بنبوءته الدينية »

مقدمة المقدمة

قال رنان في صدر مقدمة الكتاب ان مؤسس الديانة المسيحية هو السيد المسيح لا الرسول بولس كما يزعم بعضهم وان كان هذا الرسول قد نشر هذه الديانة في اقطار الارض . ولقد جاء في بعض الاقوال ان بعض خصوم بولس راموا بعد موته وضعه خارج الكنيسة واعتباره كسمعان الساحر ولذلك لم يظهر اسمه ويشغل المكان الذي له في التاريخ المسيحي الا بعد وضع الكتابة في الكنيسة موضع النقاليد الشفاهية وتدوين تاريخها

ثم قال المؤلف انه اعتمد في كتابة تاريخ الرسل على رسائل بولس بالاكثر لانها آية في التدقيق والوصف الصحيح . اما باقي الرسل فرسائلهم لا تشبه هذه الرسائل . وطلب الى منكري الكتب والمعارضين في صحتها ان يطالعوا الصفحتين الاوليين من رسالة الرسول بولس الى غلاطية ليعرفوا ان بولس متى حدث عن نفسه تكلم بدقة وتفصيل لا يقبلان الاعتراض . ثم قال المؤلف . ان الافتراض والاستنتاج لا بد منهما في كتابة كل تاريخ قليل التفاصيل وان ضمير الكاتب يكون مستريحاً اذا كان يكتب كما يفتكر ويعتقد

فيقول عن الصحيح انه صحيح وعن الممكن انه ممكن

اما « اعمال الرسل » فقد اعتمد عليها المؤلف اقلّ من اعتماده على رسائل بولس . وهو يعتقد ان كاتب هذه الاعمال هو كاتب الانجيل الثالث اي الانجيلي لوقا لشدة الشبه بينهما من حيث اساليب الكتابة ومخاطبة الكاتب فيهما رجلاً يدعى ثاوفيلوس . ومما يراه ان كاتب الاعمال كان تلميذاً لبولس وقد رافقه في اسفاره . وحيث انه كان بين تلامذة بولس رجل يُدعى لوقا وقد ورد ذكره في رسائل بولس الى كولوسي ص ٤ ع ١٤ والى فليمون ص ٢٤ والى تيموثاوس ص ٥٤ ع ١١ فهو يعتقد ان كاتب الانجيل الثالث واعمال الرسل هو لوقا الذي تقدم ذكره . ويقول رنان ان « الاعمال » لم تُكتب الا في عام ٨٠ بعد الميلاد

العجائب

ثم تكلم رنان عن العجائب في هذه المقدمة بعد ما ذكره عن اعمال الرسل فقال : ان العقل لا يصدق العجائب . واذا كانت العجائب صحيحة فلماذا لا تحدث الآن في قلب باريز عجيبة كبيرة تفتح عيون الذين لا يصدقون وتجعلهم يصدقون . ولكنهم يقولون ان العجائب لا تحدث الا امام من يصدقها اي ان من شروط حدوثها الخفاء وبساطة الناظر واستعداده لتصديقها . ولقد قال شيشرون عن عجائب قومه الرومان قولاً يصدق في هذا الزمان وهو : « متى تلاشت تلك القوة السرية ؟ لقد تلاشت منذ صار الناس اقلّ تصديقاً لها »

وربما يقولون انه اذا كان من المستحيل اقامة دليل عقلي على حدوث العجائب فمن المستحيل ايضاً اقامة دليل عقلي على عدم حدوثها . فنجيبهم « ان البينة على المدعي » لا على سواه . ولو جاء قوم الى بيفون العالم الطبيعي وقالوا له ضع الغول والعنقاء في سلك الحيوانات فبماذا يجيبهم . انه يجيبهم اروني اياها اولاً والا لا اعتقد بها . وان قالوا له اقم دليلاً على عدم وجودها فانه يجيبهم لا محالة بل عليكم انتم ان تقيموا الدليل لا عليّ

واذا قالوا ان الانسان عجيبة من العجائب لانه لم يُخلق الا بقدرة الله ومَن صنع هذه العجيبة فانه يصنع غيرها ايضاً . فالجواب عن ذلك ان هذا القول يغيّر وجه المسالة . فان كل شيء مجهول يصير بمقتضاه عجيبة من العجائب . ان الشمس تكون حينئذ اعجوبة لان العلم لم يعرف بعدُ ماهيتها حق المعرفة . وتكوّن الانسان في بطن امه يكون عجيبة ايضاً

لان الفسيولوجيا لم تعرف بعدُ كما نريد معرفته عنه . والضمير في الانسان عجيبة ايضاً لانه لا يزال سرًا من الاسرار الغامضة . وهكذا يصير كل مجهول عجيبة . فهل هذه هي العجائب . كلا وانما معنى العجيبة الحقيقي وتعريفها الصحيح « خروج النواميس المعروفة عن نظامها الثابت بواسطه ارادة خصوصية » . واذا قيل ان الله خالق هذه النواميس كائن في كل الكائنات وهو الذي يمد يده القادرة ويُخرجها اذا شاء عن نظامها المالوف الثابت فنجيب ان من معتقدنا ان الله كائن في كل الكائنات ولكننا لا نعتقد انه يُخرجها عن نظامها المالوف لانه لم يثبت انه صنع ذلك . واذا قيل انه صنع هذا الصنع في زمن مضى ولا يعود قلنا ان هذا القول انما هو بمثابة الاختباء وراء غيوم الماضي

وقد يعدل المعارضون عن العجائب المادية ويلجئون الى العجائب الادبية . اما نحن فنقول ان البوذيين والبابيين راح منهم كثيرون من الشهداء ولم يكونوا اقل من غيرهم حماسةً واستماتة واستسلاماً . ولا انكر ان عجائب الديانة الاسلامية الراجعة الى هذا الشان تختلف عن هذه العجائب وهي قلما تهمني الا ان علماءها يعتبرون ايضاً ان انتشار الاسلام بسرعة البرق وانتصاره على ممالك الارض دليل على اتحاد الله معهم وصنعه ما صنع من اجلهم . بل فلنترك هذا الامر ولننظر الى اليونان فاننا نجد تمدنهم وفنونهم عجيبة من العجائب التي لا شبيه لها في العالم . فانه اذا كانت الديانة المسيحية عجيبة في العالم من حيث الادب والقداسة فان اكروبول اثينا الذي اجتمعت فيه نفائس البناء التي لا يُذكر بازائها بناء المتقدمين والمتاخرين لهو عجيبة ايضاً من حيث الجمال واتقان الفنون . فليس كل شيءٍ مفرد عجيبة . لان الله تعالى كائن في كل ما هو جميل وحسن وصحيح في الارض بدرجات مختلفة . ولا يجوز اعتباره خاصاً بشيءٍ دون شيءٍ او بمدنية دون مدنية

لماذا أُلف كتابه

واني اوَمل ان بعض القراء الذين تحمسوا منذ سنتين ونصف سنة لمطالعتهم « تاريخ يسوع » يطالعون هذا الكتاب بهدوءٍ ورزانة . فان المجادلات الدينية انما تُبنى دائماً على سوء القصد من طالب المجادلة على غير علم منه ولا قصد . ذلك لانه لا يطلب الحقيقة بهدوءٍ ورزانة حيثما كانت ولكنه يؤكد ان الحقيقة في قبضته ولذلك لا يكون له همٌّ غير نسبة الجهل والافتراء الى مناظره . فالطعن والسب وتزوير الافكار والاقوال والافتراء والاختباء بعواطف البسطاء والجهلاء — كل ذلك يراه طالب المناظرة الدينية امرًا جائزًا

له لانه يزعم انه يدافع عن الحقيقة التي يراها في قبضته . ولقد كنت اتوقع ذلك لانني لا اجهل حوادث التاريخ وارى في نفسي من الهدوء وثبات الجاش ما يحول بيني و بين التاثر منه . فانا استقبله بهذا الهدوء كما استقبل بسرور وتلذذ العواطف البسيطة الموءثرة التي حملت مناظري على هذه المناظرة . وكلما بدا لي ذلك الغضب الصادر بصراحة من نفوس كريمة نقية فانني لا اتمالك ان اصيح « يا للبساطة المقدسة » كما صاح جان هوس (اللاهوتي الذي اعدم حرقًا) لما راى امراة تاتي الى محرقته بحزمة حطب والعرق يتصبب منها من التعب . ولكني اسفت كل الاسف لان كل ذلك الصياح والغضب لا يفيد الحقيقة شيئًا . ولا غرابة في ذلك فان الحقيقة لا تُجلى للذين يطلبونها بحماسة وغضب ولكن للذين يطلبونها بهدوء وتامل دون غرض ولا بغض . وليس في ذكر الانسان مبداءً من المبادىء اهانة لاحد فان الذين يرون فيه اهانة لمبادئهم يستطيعون التخلص منه بعدم وقوفهم عليه . فحسنًا يصنع الجبناء وضعفاء العقول اذا لم يقرأوه

ولقد كتب اليَّ بعض الناس من كل صوب يقولون « ما غرضك من هذا . وماذا تريد » فانا اجيبهم بان غرضي هو كغرض كل موءلف يكتب في التاريخ . ولو كان لي عدة اعمار لا عمر واحد لوقفت احدها لكتابة تاريخ الاسكندر المكدوني والثاني لكتابة تاريخ اثينا والثالث لكتابة تاريخ الثورة الفرنسوية (التي ننشر تاريخها الآن في روايات فريسة الاسد) والرابع لكتابة تاريخ جمعية سان فرنسوى . واي غرض يكون لي اذا كتبت هذه الكتب ؟ لا يكون لي من غرض سوى وجود الحقيقة واحيائها واعادة ذكر الحوادث الكبرى التي حدثت في الزمن الماضي بقدر ما يمكن من الصدق والتدقيق . اما ضعضعة عقائد الناس فهذا امر بعيد عن فكري . ولو كنت اقصده لطرقت هذا الموضوع من باب آخر بان اتناول الاقوال والافعال واظهر ضعيفها دون قويها وابسط التناقض الذي بينها ولا اعطي احدًا من كلامي حجة عليَّ . ولكنني لا اكتب لذلك وانما اكتب لتقرير الحقيقة . ومتى كتب الانسان لهذا القصد وجب ان لا يعباء بشيء وان لا يتساهل في شيء بل ان يكتب كانه يكتب لكرة قفراء لا ناس فيها . والا فان كل تساهل وكتمان يُعدُّ اهانة للحقيقة ولصناعة الكتابة السامية

فنحن اذًا نكتب ما نكتب دون ان نطلب اسكات المبادىء التي تناقض مبادئنا او ان نقتحمها ونحمل عليها . بل نكتب دون التفات اليها كانها غير موجودة عندنا . واذا قبل احد مبادئنا فذلك دليل على ان عقله مستعد لها اما من كان عقله غير مستعد لها فانه لا

يقبلها. وليس يسوءني شيء في العالم مثل ان يقنعني احد بان اجتذب الى هذه المبادىء رجلاً لا ياتي اليها من تلقاء نفسه . وذلك مما يجعلني استنتج انني اما اصبحت مضطرب الفكر بعد الهدوء واما ان شيئاً خصوصياً قد ثقل فيّ حتى صرت لا تروقني بهجة الدنيا ولا اكتفي بمشاهدة جمال العالم

فعملي اذا مقصور في كتبي على البحث عن الشرائع العامة التي تحكم الانسانية وتتدرج الانسانية فيها . ولست اتنازل عن هذا العمل الى فن المجادلة وان كان هذا الفن اكثر ثمرة لصاحبه . واذا لزمت المجادلة فان فولتير يكفي . فانه اذا نُشرت كتبه من جديد كان فيها جواب لكل طالبي الجدال . ولا انكر انه جواب سيء في ذاته ولكنه منطبق على ما يروم نقضه . فهو جواب متاخر لفن متاخر . اما نحن معشر عشاق الحق وطالبي الحقيقة فعلينا ان نصنع افضل من ذلك . علينا ان نترك تلك المجادلات لمن يطلبونها ونشتغل للفئة القليلة التي تسير في جادة الانسانية والصراط المستقيم

نبوءته الدينيه . الجديرة بانتباه كل عاقل

هذا هو سبيلي في كتابة التاريخ . ولستُ اجهل ان بعض الناس يستبطئون سير الفكر ولا يُمهلونه ولذلك يطلبون منه السرعة في عمله . اما نحن فلا نكونن من جملة هولاء الناس بل فلنجتنب العجلة ولا نؤسسن شيئاً جديداً . وليبقَ كل واحد منا في قلب كنيسته منصرفاً الى فضائلها القديمة واعمالها الخيرية ومتمتعاً بجمال الماضي . ولا ننبذنّ تعصب هذه الكنائس بل فلنصفح عنه لان هذا التعصب حاجة من حاجات القلب البشري مثل حب الذات الفطري . ومن المحتمل ان العلائق بين البروتستانت والكاثوليك واليهود تتغير بعد مائة سنة ولكنها لا تتغير كثيراً (ولم يذكر الارثوذكس اذ ليس في فرنسا احد منهم) . الا انه سيحدث انقلاب عظيم من وجه آخر . فان كل واحد من هذه المذاهب ينقسم اهله قسمين . فقسم يعتقد بقواعد مذهبه حرفياً كما كان يعتقد الناس بها في القرون الوسطى وقسم يعتقد بآدابها فقط لا بكل ما فيها حرفياً . وهذا القسم الثاني يزداد وينمو في كل مذهب . وبما انّ الذي يفرّق الناس الآن هو حرفية القواعد لا مبادئها الاجمالية فان انصار هذا القسم من كل المذاهب يتقربون بعضهم من بعض الى درجة يرون انفسهم عندها في غنى عن قطع صلاتهم بالقسم الاول للاتحاد بعضهم مع بعض . ويومئذ يغرق التعصب في سيل من التساهل العمومي . وتصبح الطقوس فلكاً سرياً يتفق الجميع على عدم فتحه . واذا كان هذا الفلك فارغاً فاي

ضرر في فراغه . على انني اخشى ان يثبت الدين الاسلامي وحده في وجه هذا الارتخاء العام في العقائد . ولكنني اعرف ان في نفوس بعض الرجال المتمسكين بآداب الدين الاسلامي القديمة وفي بضعة من رجال الاستانة و بلاد الفرس جراثيم جيدة تدل على فكر واسع وعقل ميال للمسالمة . الا انني اخشى ان تختنق هذه الجراثيم بتعصب بعض الفقهاء . فاذا اختنقت قضي على الدين الاسلامي . ذلك انه من الثابت الآن امران : الاول ان التمدن الحديث لا يريد اماتة الاديان القديمة موتاً نهائياً لانه يتخذها آلة له . والثاني انه لا يطيق انْ تكون هذه الاديان عثرة في سبيله . فعلى هذه الاديان اما ان تسالم وتلين او ان تموت

حرمه من الكنيسة

فما الفائدة اذاً من وضع مبادىء الدين الاصلية النقية من كل شائبة في موضع يؤذيها بدلاً من بقائها خارج دائرة الاحزاب والمذاهب ؟ ما الفائدة من اقامة مذهب ضد مذهب ورايةٍ ضد راية اذا كان الخلاص ممكناً للجميع وغير متوقف الا على نقاء باطن الانسان وشرف اخلاقه ؟ ومن المعلوم ان الانقسام بين البشر والغلو في المعتقدات يؤدّيان الى رد الفعل في كل امر وكل مذهب . فانه لولا لوثيروس وكالفين لما قام كارافا وشيسليبري ولويولا وفيليب الثاني . و بناءً عليه فاذا نبذتنا كنيستنا وجب ان لا نغضب ولا نشكو . وانما يجب ان نذكر بسرور تلطف العادات العصرية وانقلاب الزمان الذي صيَّر هذا البغض بلا تاثير كانه لم يعد شيئاً مذكوراً . ولنعزِّ انفسنا عن ذلك بالتأمل في تلك الكنيسة الغير المنظورة التي تشتمل على رجال الصلاح المحرومين اولئك الرجال الذين هم في كل مذهب نخبة الكنيسة التي تحرمهم . وهؤلاء الرجال هم منقدمون عصرهم وقواد الجيل الآتي لانهم سيكونون في المستقبل بالنظر الى تطرف الاجيال الآتية اكثر الناس انتصاراً للمبادىء الدينية . ومع ذلك فاي معنى للحرمان وما الفائدة منه . ان الاب السماوي لا يحرم الا العقول الجافة والنفوس الشرهة والقلوب الضيقة . واذا كان معنى الحرم ان الكاهن لا يقبل جثتنا في مدفنه فعلينا ان نمنع عيلتنا من تقديمها له . والله بيننا خير الحاكمين . اما الارض فانها ام حنون لا تفرق بين جثة وجثة . وجثة الرجل الصالح متى دُفنت في حفرة فيها فانها تجلب البركة معها من عند نفسها

الشكوك

ولست اجهل ان اتباع هذه المبادىء صعب على بعض الناس خصوصاً المرتبطين بالنذور كرجال الاكليروس. مثال ذلك ان كاهناً شريف الاخلاق تحقق فراغ الفلك الذي اشرنا اليه واستحالة العمل بحرفية القواعد. فما عليه ان يعمل. هل يجب ان يسيء الى الدين كان يعزيهم ويسليهم بان يطلعهم على اكتشاف لا يفهمونه؟ معاذ الله ان يكون ذلك واجباً عليه فانه ليس في العالم كله رجلان واجباتهما متساوية. فان مطران كولانسو مثلاً قد صنع صنعاً دلّ على استقامة سيرته وسريرته لما دوّن بين اوراقه الشكوك التي قامت في نفسه بشان معتقداته. وهذا العمل فريد في بابه منذ قيام الديانه المسيحية. ولكن الكاهن الفرنسوي الذي تقوم في نفسه شكوك كتلك الشكوك عليه السكوت في بلاد ضيقة العقول كبلادنا. ولذلك سكت كثيرون من الكهنة. واذا فتشت حول كنائس القرى وجدت كثيراً من القبور تضم اسراراً لم يقف عليها احد غير الله. فهؤلاء الذين سكتوا مساوون في الفضل لاولئك الذين نطقوا

العدو الحقيقي للعلم والدين

فالعلم اذاً شيء والعمل شيء آخر. والكمال يجب ان يبقى كمالاً في جوه الرفيع والا فانه يتلوث اذا اريد العمل به. وكم من الافكار والمبادىء تكون مفيدة لاهل الفهم واصحاب العقول النيرة ومضرة بالطبقة الواطئة. ذلك ان الانسان لا يستطيع ان يعمل اعمالاً عظيمة الا اذا كانت له خطة مقررة وطريق مخطوطة. وهذا ناشيء عن ان لقواه حدوداً معينة. واذا كان الانسان مجرداً عن كل وهم وعادة واصطلاح فانه يكون مخلوقاً ضعيفاً. فلنتمتع اذاً بنعمة الحرية المعطاة لنا نحن ابناء الله ولكن لا نجلعنّ انفسنا شركاء في ما يصيب الهيئة الاجتماعية من تناقص الفضائل اذا ضعفت الديانة المسيحية. اذ ماذا تكون بدون هذه الديانة اذا امّحت. ومن يقوم مقام تلك الجمعيات (يعني بعض الرهبنات الصالحة) التي هي عبارة عن مدرسة للنظام والجد والاحترام والاخلاص. وكيف لا يخيفنا حينئذ الجفاف والقسوة اللذان يسطوان على كل القلوب والصغائر التي تستولي على العالم. نحن على اتفاق تام في هذه المسائل مع رجال الدين. وانما الخلاف الذي بيننا علمي لا ديني. فقلوبنا اذاً معهم وعدونا عدوهم. ونعني بهذا العدو المبادىء المادية الواطئة التي لا ترى في الكون شيئاً غير المادة ودناءة بعض البشر (يعني بعض رجال الاكليروس) الذين

يرومون استخدام كل امر حتى الامور المقدسة في سبيل مصالحهم الخصوصية

الكلمة الاخيرة

فنستحلفكم اذًا باسم الله ان تتركوا كل خصام ونزاع . دعوا الاحزاب والمذاهب التي وضعها البشر تعيش بتساهل واحتمال بعضها مع بعض . ولا تطلبوا من بعضها ان يتنازل عن شيء من مبادئه اكرامًا للآخر فان ذلك يحط من قدرها . وانما اطلبوا ان يحمل بعضها بعضًا ويتسامح بعضها لبعض فانه ليس في العالم قوة تستطيع ملاشاة باقي القوات ولا في امكان مبداء ان يعيش دون نقيضه . بل ان الشيء ونقيضه في هذا العالم لا بدّ ان يعيشا معًا وانما ينشأ نظام الانسانية من اتحاد اصواتها الكثيرة مهما كانت مختلفة . ولكن هب ان ما يسمونه « استقامة الايمان » قد تمكن من قتل العلم فماذا تكون النتيجة ؟ ان نتيجة هذا القتل معروفة لا تخفى على احد . فان العالم الاسلامي واسبانيا قد قاربا الموت لانهما خنقا العلم وسدا سبيله . وكذلك هب ان العلم المادي رام حكومة العالم من غير التفات الى حاجات النفس الدينية فماذا تكون النتيجة ؟ ان نتيجة هذا الامر معروفة ايضًا وقد ظهرت في اثناء الثورة الفرنسوية . وهذا مصير كل افراط وكل تفريط في العالم . انظر الى ايطاليا في ايام نهضتها تجد ان ارتقاء الفنون فيها الى اسمى درجات الكمال جعلها مكانًا قذرًا لان ذلك الكمال في الفنون لم يكن مقرونًا بالفضيلة والحشمة . وانظر الى بعض البلاد البروتستانتية تجد ان الضجر والصغائر والتاخر في الفنون امور تتولد فيها عقابًا لها على الغائها الفنون والزينة وتشديدها على العلم بحجة البساطة وحفظ اصول الدين الحقيقية . فلوكريس وسنت تريزه . واريستوفان وسوقراط . وفولتير وفرنسوى داسيز . ورفائيل وفنسان دي بول — كل واحد من هولاء الرجال لا غنى للعالم عنه وان اختلفت وجهاتهم ومقاصدهم . واذا فقدت الانسانية شيئًا من هذه العناصر المختلفة التي تتالف منها صغرت ونقصت نقصًا يظهر فيها » ا ه

انتهت مقدمة رنان . وهي في الكتاب ٦٤ صفحة بحجم كبير . وسندخل في الجزء القادم في موضوع الكتاب نفسه لهذا الموضوع الخطير

الذهب المصري والكيماوي برتلو

اكتشاف جديد

ساعد الكيماوي برتلو الباحثين في الآثار المصرية مساعدة تُذكر فتشكر . فانهم يُرسلون اليه شذوراً او لفائف من الذهب الذي يجدونه في المدافن المصرية فيحلل هذا الذهب و يعلم منه على التقريب العصر الذي استخدمه فيه دافنوه . على ان هنالك فائدة اخرى وهي تعيين العصر الذي استخدم فيه قدماء المصريين الذهب الخالص . ولبيان ذلك نقول

من المشهور ان الامم المتقدمة كانت تستخرج الذهب من الشواطىء البحرية والنهرية حين انحسار المياه عنها . ولا تزال هذه العادة شائعة عند بعض طلاب الذهب الى هذه الايام . واذا نزلتَ الى شاطىء الميناء الشرقية في الاسكندرية بعد يوم كان بحره هائجاً وزوابعه شديدة فانك ترى على شاطئه احياناً بضعة رجال في ايديهم قصع يغرفون بها الرمل من الشاطىء الذي قلبته الامواج ثم يصفونه بالماء كمن يغربله بغربال وهم يبحثون عن شذور الذهب بين حبات الرمل . بل اذا كنتَ ذا بخت نظرتَ منظراً اجمل من هذا : وهو منظر ثلاث فتيات من حسان الايطاليات تجلس اثنتان منهن على الشاطىء بين الجمع المجتمع وتذهب الثالثة وهي اجملهن بحذائها النظيف الجميل وحلتها الانيقة فتخوض البحر حتى يعلو قدَمها شبراً او شبرين ثم تمد يدها الى الماء وتقبض قبضة من الرمل الذي تحته وتعود به الى رفيقتيها ليبحثن فيه معاً عن حبات المرجان

وقد كان المصريون الاولون يستخرجون شذرات الذهب من الشواطىء بطريقة كهذه الطريقة الا ان الذهب الذي كان يُستخرج بهذه الطريقة كان ممزوجاً بالفضة . ولذلك كان لونه ضارباً الى البياض . وقد كانوا يسمونه « الكتروم » او « آزم » . ولم يكونوا يومئذ يعرفون الذهب الخالص قطعياً . غير ان هذا الجهل لم يكن خاصاً بهم فان جميع الامم المتقدمة كانت تستخدم الذهب ممزوجاً بالفضة لجهلها طريقة فك الواحد من الآخر

ولكن هل طالت مدة هذا الجهل . وهل بقي المصريون على استعمال الذهب ممزوجاً بالفضة ازماناً طويلة . — هذا هو السؤال الذي وجد برتلو جوابه . فانه حلل اللفائف الذهبية التي بعث بها المسيو ماسبرو اليه فوجد في اللفافة الذهبية التي من عهد « الاسرة السادسة » ٩٢ جزءاً من الذهب و٥ اجزاء من الفضة وفي اللفافة التي من عهد « الاسرة

الثانية عشرة » ٩٠ جزءًا من للذهب و٤ من الفضة . ووجد في اللفافة التي من عهد الفتح الفارسي ٩٩ جزءًا من الذهب . فثبت له ان الذهب الخالص لم يُعرف في مصر قبل الفتح الفارسي . ولا ريب انه اذا بحث في جميع لفائف الذهب التي توجد في المدافن حول الرمم المحنطة تمكن مع طول البحث من معرفة عصر اي مدفن من المدافن التي يكتشفها الكاشفون من مجرد تحليل الذهب الذي يكون فيها

هذا وقد قدم المسيو برتلو ملاحظاته هذه الى مجمع العلوم في باريز فنقلناها نحن عن وقائع هذا المجمع . وقد قدم اليه هذا العالم ملاحظة اخرى تختص بمصر . فان احد الباحثين بعث اليه بقطعة من اناء يظهر انه من فضة وقد وجد في مدفن من مدافن الاسرة الرابعة اي من نحو ٦ الاف سنة . فلما حلل برتلو هذه القطعة وجد انها من الرصاص لا من الفضة وانما صار لها منظر الفضة ولونها لاتحاد مادتها بكلوريد الصوديوم

الانكليكان

﴿ او تاريخ انكلترا الديني ﴾

لحضرة الكاتب الاديب الياس افندي عيساوي

سألني بعض الاصدقاء ان اشرح في الجامعة تاريخ الطائفة الانكليكانية لكثرة الكلام عنها في الايام الاخيرة في مصر والشام وخصوصاً في بيروت فرايت ان اذكر ما وصلت اليه يدي من امورها بعد البحث والتنقيب ولا غرض لي من ذلك غير اطلاع القارىء على تاريخ انكلترا الديني اذا كان يجهله . فاقول

الكنيسة الانكليكانية وتدعى ايضاً كنيسة انكلترا هي جزء عظيم من الطائفة الانجيلية في العالم . وتختلف عن باقي الكنائس الانجيلية بان لها اساقفة وشمامسة كما في الكنيسة الارثوذكسية ولها رئيسا اساقفة يقيم احدهما في كنتربري والاخر في يورك . وهذان الاسقفان هما بمثابة البطاركة في الكنيسة الشرقية . وهي الكنيسة الرسمية عند الحكومة البريطانية وتعترف بسيادة ملك انكلترا على املاكها . وهي كنيسة رسوليه تحفظ شرائع الرسل وتعاليمهم

تاريخها

وتاريخ هذه الكنيسة تاريخ النصرانية في انكلترا . والنصرانية دخلت الى انكلترا بعد ظهور الديانة المسيحية بقليل . ومن الرواة من يقول ان الرسول بولس ذهب الى تلك الجزائر وكان حينئذ سكانها من المتوحشين فنشر التعاليم المسيحية فيها مبتدءاً من مقاطعة غلاستنبرج لان طقوس هذه المقاطعة الى الآن تقارب الطقوس الشرقية . ثم جعلت النصرانية تمتد حتى القرن الثالث بعد الميلاد حين اصبحت البلاد تابعة لسلطة المملكة الرومانية فابتداء قياصرة الرومان اذ ذاك باضرام نار الاضطهاد وهدم كنائس النصارى فيها ولكن ذلك لم يثن من عزم الاكثرين على التدين بها حتى ان مجمع نيقية المشهور الذي عقد في عام ٣٢١ ب . م كان فيه من ينوب عن كنيسة انكلترا . وظلت النصرنية تمتد حتى الفتح النورمندي وكانت قد صارت اكثر المقاطعات البريطانية تعترف بالنصرانية وصار فيها ٤٥٠٠ كنيسة ما عدا كثير من الاديرة والصوامع وكاتدرائيات الاساقفة الخصوصية . وصار للاساقفة السلطة العظمى فكانوا يحاكمون الناس كالقضاة

وكانت كنيسة انكلترا يومئذ غير تابعة تماماً للسلطة البابوية . وبناء عليه رأت الحضرة البابوية ان تساعد الملك وليم الفاتح النورمندي على التغلب على انكلترا ليجعل هذا الملك سلطتها تامة فيها . وتمهيداً لذلك قبل وليم الفاتح في انكلترا علاوة عن رئيس اساقفة يورك كاردينالين رومانيين اوفدهما البابا من قبله . وعليه فالفتح النورمندي كان ذا صبغة دينية . واتماماً لنفوذ الحضرة البابوية في انكلترا ارسل الفاتيكان كاردينالاً لومبارديا اسمه لافرانك وجعله رئيساً لاساقفة كانتربري مخالفاً بذلك العادة القاضية بوجوب ان يكون رئيسا الاساقفة من الانكليز دون سواهم . ثم كثر الكهنة والرهبان النورمنديون فانشئوا عدة كنائس وكاتدرائيات جميلة الهندسة على الشكل النورمندي . وصارت بعد الفتح كل شؤون الكنيسة في ايدي الغرباء . اما وليم فلما راى ان السلطة البابوية ستكون فوق سلطته ابى الاعتراف بها تمام الاعتراف وارسل يبلغ الحضرة البابوية انه لا يستطيع مخالفة العوائد القديمة التي توجب على السلطة البابوية ان لا تتخطى الحدود المرسومة لها . فنشأ عن ذلك نزاع طويل بين الملك والباباولكن لما توفي وليم اشتدت سلطة البابا والكنيسة حتى قام ادوارد الاول فسن عدة قوانين لتحديد هذه السلطة . وفي هذه الاثناء تالف البارلمان الانكليزي وصارت له اهمية تذكر في انكلترا فساعد البارلمان الملك من جهة ومن جهة اخرى كثر اعتداء الاكليروس واتهمهم الانكليز بفظائع القتل ايضاً فنفرت قلوب

الناس منهم . وفي هذا الحين قام كاتبان انكليزيان انصرفا الى اظهار مساوىء الكهنة والرؤساء فرماها الاكليروس بالزندقة والكفر واضطهدها ولكن احدهما وهو (ويكليف) كان تعليمه تمهيداً « للاصلاح » . وفي عام ١٥٠٩ قام شاب على كرسي انكلترا فنشط الهمم لترجمة التوراة الى اللغة الانكليزية وترجم ايضاً كتاب الصلوات فوافق عليه البارلمان في عام ١٥٤٩ والزم جميع الكهنة باستعماله . ثم دخلت تعاليم « الاصلاح » في زمن هنري الثامن وكان من نتائجه الغاء الصور والتماثيل من الكنيسة وابدال مذابح القربان بمائدة اعتيادية وقد حدث كل هذا التغيير بتدبير احد دهاة الاساقفة المدعو كرنمر . وقام كثيرون يطلبون كتابة عقائد ايمانهم فاجابهم كرنمر وغيره الى طلبهم والفوا ٤٢ عقيدة فوافق عليها الملك والزم الاكليروس بالاعتراف بها . ثم ادخلوا في عام ١٥٥٢ التغيير والابدال في كتاب الصلوات وجعلوا له صبغة بروتستانتية . وبعد موت هذا الملك بقليل قامت ماري ستوارت الكاثوليكية فارجعت التعاليم القديمة . الا ان ١٥٠٠ — ٣٠٠٠ كاهن ابوا الموافقة عليها فاضطر بعضهم الى الفرار واضطهد بعضهم . ثم امرت ماري فاجتمع مجمع اساقفة في عام ١٥٥٥ لمحاكمة الهراطقة (اي البروتستانت) فاحرق منهم عدة اشخاص في جملتهم كرنمر المذكور الذي صرف ٢٣ سنة في رئاسة كنيسة انكلترا . وكان ذلك في ٢٢ مارس من عام ١٥٥٦

وفي عام ١٦٤٢ قامت طائفة البيورتيين . واصحاب هذه الطائفة بروتستانت لا طقوس عندهم ولا كتب صلوات ولا يعتقدون بشيء غير الكتاب المقدس . فقويت هذه الطائفة وكان من اتباعها كرمويل الشهير الذي اضرم نار الفتنة الاهلية في انكلترا وقتل كارلوس الاول والف جمهورية دامت مدة سنوات تحت رئاسته ولكن عفت اثارها بعد موته . وقد صارت هذه الطائفة ذات اهمية عظمى في مدة الجمهورية لان كرمويل قضى على الجميع باتباعها ومنع التعييد يوم عيد الميلاد وجعله يوم صيام ومنع اساقفة كنيسة الانكليكان من التعليم والوعظ مهدداً اياهم بالنفي اذا خالفوا امره . ثم لما رجعت الملكية رجع النفوذ الديني للكنيسة الانكليكانية وفرّ كثيرون من البيورتيين الى اميركا حيث وضعوا اساس الجمهورية الاميركية . وبقيت الانكليكانية في تقدم ونمو الى عهد جمس الاول وهو الملك الثاني بعد انقلاب الجمهورية . وكان هذا الملك كاثوليكياً فرام ارجاع الكثلكة فاضطره الشعب الى الاستقالة والفرار . ولم يحدث تغيير في الكنيسة الانكليكانية الا في القرن التاسع عشر فانه كان من المفروض قبل هذا القرن ان يكون النواب في البارلمان الانكليزي من

الانكليكان دون سواهم . الا ان الحكومة اتباعاً لمبداء الحرية الغت هذا النظام واذنت بالنيابة في المجلس اولاً للبروتستانت غير الانكليكان ثم للكاثوليك فالاسرائيليين . وكان قبلاً كل انكليزي ايّاً كان مذهبه مرغماً بدفع ضريبة للحكومة تسمى ضريبة الكنيسة وكانت هذه الضريبة تختص بالكنيسة الانكليكانية بالطبع ولكنهم ابطلوا هذا ايضاً في القرن الماضي لانهم رأوا انه ليس من العدل ان يدفع الاسرائيلي مثلاً ضريبة لكنيسة لا شان له فيها . وقد امتدت الكنيسة الانكليكانية في القرن التاسع عشر في كل اقطار الدنيا بواسطة جمعية دينية أُلفت في نهاية القرن الثامن عشر . ولها الآن ٦٠ اسقفاً (مطراناً) في بريطانيا والمستعمرات ومثل هذا العدد في اميركا . ويبلغ عدد خدمة هذا الدين في انكلترا وحدها ٢٠٠٠٠ شخص

طقوسها وتعاليمها

وطقوس هذه الكنيسة وتعاليمها ماخوذة من الطائفة اللاتينية والطائفة الارثوذكسية وهي منقولة من كتاب لاحد رؤساء اساقفتهم المدعو هرمن وقد الفه في عام ١٥٤٣ وجعل اكثره مبنياً على تعاليم لوثيروس . والكاهن عندهم يلبس في اثناء القداس ثوباً ابيض ويلقي على كتفه حمالة سوداء وللكهنة ثياب خصوصية خارج الكنيسة تميزهم عن عامة الناس والزواج مباح لهم خلافاً لغيرهم من كهنة الطوائف المسيحية . ولهم في كتاب الصلاة خدم مخصوصة بالصلوات المختلفة كصلاة الصبح وصلاة المساء وصلاة عيادة المرضى ودفن الموتى خلافاً لطائفة البرسبيتيريين وهي الطائفة الانجيلية الاكثر اهمية في اميركا ومنها اميركان بيروت وسوريا . فان هذه الطائفة ليس لها طقوس ولا كتب صلوات مطبوعة

وتعليم الكنيسة الانكليكانية موجودة في كتاب الصلاة وفي كتاب التسع والثلاثين عقيدة وكلاهما مترجم الى اللغة العربية . وقد وضع هذه العقائد ١١ ٣٩ كرنمر وردلي . وكان عددها في الاصل ٤٢ عقيدة كما تقدم ولكن في عهد اليصابات قرّ رأي الرؤساء على حذف ثلاثة منها . وخلاصة هذه العقائد ان الكتاب المقدس هو وحده مصدر التعليم المسيحي وان الخلاص يكون بالايمان . وهي ترد رئاسة البابا وسر الاستحالة وخدمة القداس اللاتينية والمطهر والسجود للقديسيين او لايقوناتهم وتحافظ على سر المعمودية والافخاريستيا (الشركة) . واما تقليدات الكنيسة القديمة فتقبل منها ما وافق الكتاب المقدس موافقة صريحة لا تقبل التاويل . ويعتبر الكهنوت في هذه المواد كما يُعتبر لدى الكنيستين الشرقية والغربية اي موهبة تُعطى بواسطة وضع الايدي (الشرطونية) بحسب درجاتها الثلاث اي

الشماسية والكهنوت ورئاسة الكهنوت . وعلى هذا فان الكنيسة الانكليكانية قريبة من الكنيستين الشرقية والغربية بحيث تكون واقعة في نقطة الوسط بينهما من جهة وبين سائر المذاهب البروتستانتية من جهة اخرى . وهي تقسم الى ثلاثة اقسام اولاً الكنيسة العليا وهي الاشد تمسكا بكتاب الصلوات ومنها ظهر الانكليز المتكثلكون او محبو الطقوس وهم من اعلى طبقات الانكليز. ثانياً الكنيسة الدنيا وهي فيما تلتفت الى الطقوس وانما تصرف اهتمامها الى المبادىء والفضائل الدينية وتسعى في نشرها في الداخل. ثالثاً الكنيسة المتوسطة وهي موسومة بحرية الافكار والاهتمام بالمعارف والعلوم

اهميتها

وللكنيسة املاك كثيرة في انكلترا ولها يد طولى في سن القوانين لان الكنيسة معتبرة عند الحكومة كالهيئة المالكة للابنية والعقارات المختصة بها . وعليه فبسبب كونها من اصحاب الاملاك يلزم ان تشارك اصحاب الاملاك في سن القوانين للبلاد ولذلك تعتبرها الحكومة جداً. ولكل اسقف من الاساقفة المقيمين في بريطانيا كرسي في مجلس الاشراف . وسبب ذلك انه لما توحدت ممالك انكلترا صار الملك يطالب الكهنة بالضرائب وبحسب الشريعة الانكليزية ان كل من يدفع الضرائب على العقارات والاملاك يجب ان يكون له من ينوب عنه في البرلمان . وعليه الف الاكليروس اولاً جمعية مختصة بهم تعمل عمل البرلمان وتنعقد وتنحل معه . وكانت وظيفة هذه الجمعية الى سنة ١٦٦٤ البحث في مسائل الضرائب وبعد هذه السنة حلوا هذه الجمعية وجعلو للمطارنة كراسي في البارلمان

وللكنيسة ايراد وافر من املاكها الواسعة ومن تاجير المقاعد في كنائسها وكاتدرائياتها ومن تقديمات عيد الفصح ورسوم التعميد والمآتم والاعراس . وتبلغ ميزانيتها خمسة ملايين جنيه انكليزي وهي تدفع رواتب باهظة لخدمة الدين اقلها ٨٠ جنيهاً في السنة . وجلالة ملك انكلترا محسوب رئيساً لها ولذلك يُسمى في لقبه « حامي الايمان » وهو يحكم في مسائلها الكبرى التي تُرفع اليه بدرجة استئنافية

والكنيسة الانكليكانية تميل الى الكنيسة الارثوذكسية وتود الاتفاق معها وقد سعت لهذه الغاية لدى بطريرك القسطنطينية غريغوريس السادس بواسطة رئيس اساقفة كنتربري في عام ١٨٦٩ فاصدر البطريرك المذكور على اثر ذلك منشوراً ياذن فيه بدفن الانكليكان بواسطة كهنة ارثوذكس اذا مست الحاجة . وفي عام ١٨٧٢ بعث الانكليكان على اثر اجتماعهم العام في اميركا برسالة الى مثربوليت اثينا السيد ثيوفيلوس والى بطاركة المشرق يعربون بها عن ميلهم الى الكنيسة الارثوذكسية

بين مرسين وطرابلس الشام

بقلم جناب الفاضل الياس افندي شحاده ذيب استاذ اللغة العربية في مدرسة افيروف

(اذا عاش الانسان في هذه الحياة معيشة الفضل والعقل والتواضع وخفض الجناح واحتمل كل اذى وكل ضر بصبر جميل وصدر رحب ثم مات اشنع ميتة دون ان يذوق في حياته الراحة التي يستحقها اهل الخير فماذا تستنتج من ذلك ؟ الا تستنتج وجوب وجود عالم آخر افضل من هذا العالم تستريح فيه تلك النفس الفاضلة التي لم تجد غير العذاب في هذا العالم . وهكذا استنتج صاحب هذه القصيدة في وصفه حادثة حقيقية حدثت في العام الماضي على نهر في جهات طرابلس الشام . ونحن في هذا المقام نشكر جناب الناظم لتفضله بالاجابة الى ما اقترحناه عليه من نظم هذه القصيدة التي جعلناها جائزة لنفس فتاة فاضلة)

(المجامعة)

يامصاباً يضيق عنه احتمالي ... عمرك الله لا تمرَّ ببالي
ليت شعري أأنتَ حادثُ جدٍّ ... ام خيالٌ من ساريات الليالِ
صدق النعيُ والحقيقة نادت ... يا لهولٍ من اشأم الاهوال

***

غادةٌ تزري بالنجوم بهاءً ... صاغها الله آيةً في الجمال
ولدت في ثغر به الماء كالبلو ... رصافٍ ينساب في الادغال
بين روضاتٍ ظللتها خيامٌ ... من غمامٍ بوارفِ الاظلال
خيمتْ فوقها سما لازوردٍ ... رصعتها كواكب كاللآل
سابحات في موجها كعذارى ... مستحمات تحت جنح الليال
وسط تلك الجنات حسناؤنا قد ... نشأت بين اهلها في دلال
زهرة للحياة قد بسمت كا ... صبح للشمس والدجى للهلال
ثمَّ اذ شبت بعد حين اتاها ... زائر الحب طاهر الاذيال
سمعت صوته اللطيف يناجي ... قلبها في براعة استهلال
فاطاعت ذاك النداء وزفت ... لحليل قد رافها في الرجال
ثم ان الزوجين عما قليل ... ودَّعا رهط الاصدقا والآل

والى صقع آخر هاجرا قصـ ـدَ ارتزاقٍ وبسطةٍ في الحال
وباحدى البلدان بادىء بدءٍ صادفا لليسار خير مجال
بيد ان الزمان اذ خان يوماً خسر البعل ماله من مالـ
وعلى اثر ذلك اعتلّ في دا ءٍ عقام قد اعتراه عضال
ثم ان السقام اضناه حتى لم يكن يُرجى معه من ابلال
فبتلك الاثناء صارت له الزو جة اماً فضلاً عن الانجالـ
ورفيقاً معزياً وملاكاً حارساً حتى حان وقت الزوال
فقضى نحبه وخلف الار ملة الهمّ مع صغار العيال
ولقد كان نجم قطب بعينيـ ـها ومصباح دفة الامال
في رضاه ترى العسير يسيرًا والبعيد البلوغ سهل المنالـ
تحسب القرب منه جنة عدن ولديه الحياة اهناء حال
ان اشار انقادت اليه بلين او نهاها تطيع دون جدال
واذا اغتاظ لا تحير جواباً او اجابت بالطف الاقوالـ
لا تكاد الاحزان تبدو على جبـ ـهتها حتى تبتلى بالزوال
كظلال الرياض فوق حياض حركتها الرياح في الآصال
ولئن كانت تزرف الدمع حيناً فوق خديها سافطاً كاللآلـ
انما كانت فيه تزداد حسناً كالرياحين رصعت بالطلال

***

ثم ان الفتاة من بعد ذاك الرزء عادت الى ربوع الآل
وعلى اثر الخطب اسقمها الهمُ فرامت تخفيف بعض الوبال
فانتحت ديرًا مع فتاها المرجى تبتغي وجه ربها ذي الجلال
فكانّ النفوس ترتاح ان تستـ ـقبل الله في اعالي الجبال
ثم بعد المقام في الدير حيناً صممت ان تعود نحو الآل
فاستخارت وسافرت مع فتاها والمكاري تبغي محط الرحال
فالتقوا نهرًا فاصلاً فتحرى صاحب البغل قطعه باحتيالـ
اذ بدون القطع المسافة كانت حائلاً دون سرعة الايصال
ما درى انه بتلك المجاري سوف يلقي ركابه في الوبالـ

من عساه يدري اذا كانت الا ... م به صاحت وهو غير مبال
ويك فاعدل عن العبور فبادا ... ها المكاري بافظع الاقوال
وامتطى النهر طاغياً ماوه يض ... رب فوق الركاب حتى الشكال
ولقد حان للركوب عثارٌ ... فهوى النجل ساقطاً في الحال
فارادت تخليصه امه فاز ... قلبت مثله لشر المآل
بيد ان المكاريَ السوء ظناً ... منه ان الانام دون البغال
اخرج البغل في سلام وام ... مع فتاها ماتا باسواء حال
ليت شعري من ظن ان بغالاً ... تفتدى صاح بالنفوس الغوال
سلم البغل ناجياً وفتاهُ ... مع فتاها غاصا مع الاوحال
يمما «ميناء» امينا فماتا ... قبل ان يبلغا محط الرحال
يا قسيَّ الصواعق الدهم هيا ... واصعقي راس ذلك البغال
ليته لا تذوق اجفانه طع ... م رقاد من مرعبات الخيال
وليعذب فوءاده وخز نقريـ ... ـع اليم يفوق وخز النصال
ولتطارده من ابالسة الوهم ... جيوش بافظع الاهوال
ليت شعري هل ناله من لدن عد ... ل القوانين صاح شر النكال
ام ترى اعتلت القوانين بالاسـ ... ـكان خلي والقلب والابدال
فمضى دون ان يمس بقبض ... او نجا مطلقاً بحل عقال
كسواه من الجناة الاولى قد ... افعموا الارض من فظيع الفعال
واقل الجزاء كان لديا ... ك الشقي اللئيم ضرب النعال

***

ربما قال قائل بعد هذا ... اين عدل المهيمن المتعال
مع فتاة كانت ملاك سلام ... ولمعنى العفاف خير مثال
شقيتْ في حياتها مع زوج ... قرنتها به ظروف الحال
معه ذاقت من العذاب صنوفاً ... دون ادنى سآمة وملال
ولقد زاد طينها بلة ما ... داهم الزوج من ضياع المال
فاعتلال بشرّ داءٍ فموت ... قد رماها في اسواء الاحوال
ثم لم يكفها الذي كابدته ... من صنوف الويلات والاهوال

فائتها المنون من حيث لا تد ري وسدت موارد الآمال
غرقاً ماتت مع فتاها المرجى فدية عن بغل وعن بغال
ليت شعري هل الفضيلة تجزى بوخيم العقبي وسوء المآل
ايها المشتكي السوءوم رويداً في تجنيك وائتد في المقال
ان في ذا اقوى دليل على ان بعد هذي الحياة دهر تال
فيه يجزى خير بخير سواء وبحسن العقبى حميد الفعال
حيث يزهو وجه الفضيلة كالشم س سناء بل فاقها في الجمال

***

ولذا خاطب الفتى امه في نعشها ناطقاً بذي الاقوال
راعني يا اماه قرع النواقيـ س بطيئاً مقطعاً اوصالي
واحتشاد الجموع من حولنا ايـ ضاً اراه يزيد في بلبالي
اين كنا واين نحن ايا امـ اه قولي وافصحي في المقال
حرتُ في ما اليه صرتُ ولكن ياترى هل عرفتِ ماذا جرى لي
شمتُ في الماء صورتي في ثيابٍ كالثلوج البيضا باعلى الجبال
وعلى هامتي اكاليل زهر فائح العرف رائع الاشكال
احدقت بي آلاف آلاف غلما نٍ حسان الوجوه ولد دلال
بسطوا لي منهم اكفاً كان قد حضروا يا اماه لاستقبالي
وكانّ الزعيم اذ ذاك مني جذب الجسم نحوه في الحال
ثم طاروا بالروح مني جميعاً في طباق الفضاء نحو الاعال
وبتلك الاثناء جسمي عانى داخل الماء افظع الاهوال
اترى يا امي جرى لك مثلي او رات عيناك الذي قد بدا لي
وكانّ الفتاة اذ ذاك قالت لابنها كن يا ابني براحة بال
خطفتنا ملائك النور من ار ض الشقا نحو ربها المتعال
والذي شمت انما بان في الما ء انعكاساً عن الفضاء العال

نخيل مصر وزراعتها وتمرها

اهدانا بعضهم رسماً لاحدى جزائر النخيل في اثناء فيضان النيل . وقد وقع نظرنا ونحن نقلب هذا الرسم على كلام عن النخل وزارعته ورد في تقويم المؤيد الذي صدر

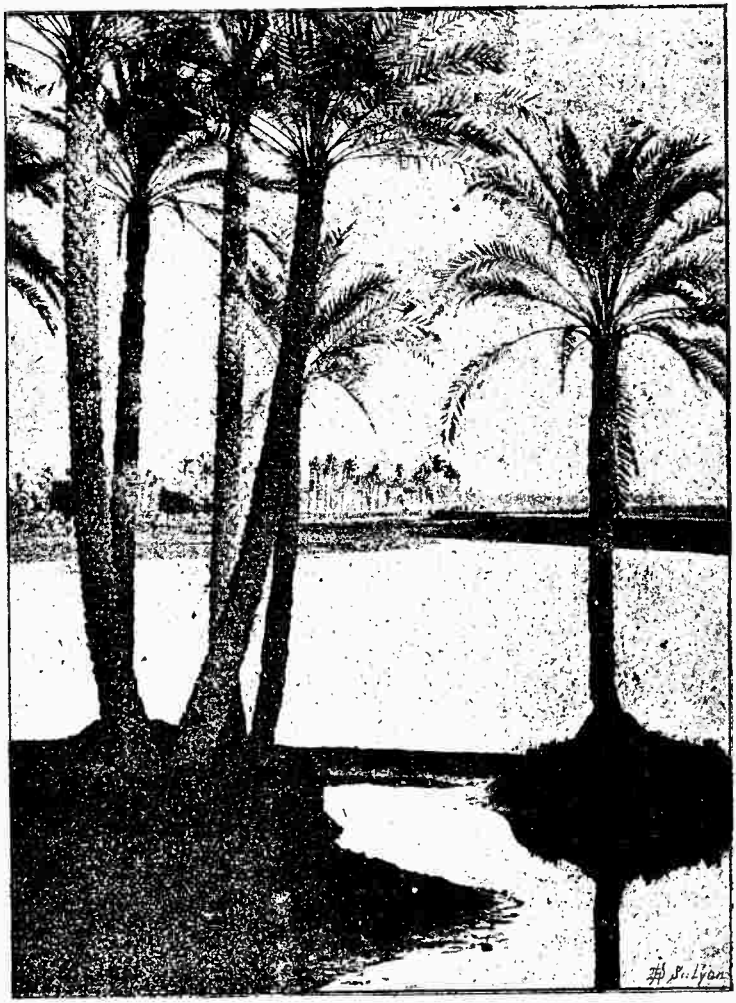

﴿ جزيرة نخيل في النيل في اثناء الفيضان ﴾

حديثاً فاحببنا نشره في هذا الفصل للذين تهمهم المسائل الزراعية

﴿ زراعة النخل ﴾ توافق زراعة النخل الاراضي الرملية الرقيقة المحتوية على نسبة صغيرة من الطين ويكون ثمره افضل اذا نما ببطء في ارض ضعيفة . وهو يتكاثر اما بغرس النوى او بالنخل الصغير الذي ينبت من الساق الارضية للاناث وهذه الطريقة هي المعول عليها بخلاف الاولى التي لا تاتي بنفس الثمر ولا تحفظ نسبته الاصلية . وقبل نقل النخل الصغير نقلع بعض اوراقه الخارجية وتربط الباقية بحصيرة لوقاية الزر الانتهائي من حرارة الشمس وتفك الحصيرة قليلاً كلما اشتدت الاوراق ونمت وترفع الحصيرة تماماً بعد ٨ اشهر والابعاد التي تراعى في زرع النخيل ينبغي ان تكون من ٣٫٥٥ الى اربعة امتار من كل جانب ويكون الزرع في حفر تحفر طويلاً وتستعمل كساقٍ ولا توضع اسمدة مطلقاً واذا وضعت فتكون من اسبخة المواشي او من روث الاغنام والماعز . ويجب ان تكون ارض النخل رطبة عند جذوره لا سيما في ابتداء امره وحينما يزرع صغيرًا لا بد من سقيه مرة في كل اسبوع اثناء الثلاثة شهور الاولى ومرة في الاسبوعين مدة الثلاثة شهور الثانية ثم يروى في فترات معلومة من السنة بانتظام وكثرة الارواء يجب ان تكون قبل التزهير . والنخيل اذا اجيد زرعه اثمر بعد ٤ او ٥ سنوات ولكن ثمره لا يكون وافرًا الا اذا بلغ ٨ سنوات وهو اذا اعتني به دام ثمره نحو جيل ولكنه ينحط في جودته بعد مائة سنة . والنخلة القوية تعطي ٨ سباطات (اقراط) في كل منها من ١٥ الى ٢٥ رطلاً . ويبدا البلح في تغيير لونه في اواخر فصل الصيف

﴿ بلحه ﴾ نخيل البلح منتشرة من بلاد النوبة الى البحر الابيض المتوسط وبلح الواحات والوجه القبلي الذ مذاقاً . وبلغ متوسط ما صدر منه من سنة ١٨٨٤ الى سنة ١٨٩٨ ٦٤٥ طناً سنوياً بسعر ١٨ جنيهاً الطن . وصدر منه عام ١٨٩٩ — ٨٩٢ طناً بمبلغ ١٤٢٢١ ج . وعدد النخيل في الوجه القبلي اكثر منه في البحري وفي قنا اكثر منه في مديريات الصعيد وفي بني سويف اقل منه فيها وفي الشرقية اكثر منه في مديريات الوجه البحري وفي المنوفية اقل منه فيها . وضرائب النخيل بمقتضى قرار ٢٨ مايو سنة ١٨٨١ غرشان ونصف صاغاً عن كل نخلة تحمل ثمارًا وتعفى النخيل غير المثمرة او النامية في جنائن منزلية او في جبانات او في غيرها فانه لا يدفع عنها اموال . وظهر من تعداد سنة ١٩٠١ ان عدد النخيل التي تدفع الضرائب عنها ٥٢١٩١٩٣ نخلة والتي لا يدفع الضرائب عنها

٤٧٨٣٠٧٤ نخلة — وانواع البلح الذي يؤخذ من نخيل مصر هي : الرشيدي او السماني وهو مدبب الطرف غليظ الحجم صغير النواة ويزرع بقرب رشيد وعلى ساحل البرلس ويطلب بكثرة في اوربا والطريقة لحفظه قطع طرفيه وازالة النواة ورفع القشر وغليه في الماء ثم وضعه في الشراب الحلو . والزغلول — لا يزرع منه الا القليل ويعمل مربى وينضج بدرياً ويكون طويلاً كبيراً ونواته صغيرة . والعمري ومنه اغلب الصادر ويزرع في الشرقية وينضج مؤخراً وقبل ان يجف تماماً يرتب في صناديق للتصدير . والسيوي وهو قصير ثخين اصفر ويكبس في بعضه لتكوين ما يسمى بالعجوة والنوع الجيد يوضع في اكياس من جلد بدون نوى . والحياني او البركاوي يصير اسود حين تمام النضج الذي يحصل قبل انواع البلح وقد ادخل من المرج الى القليوبية . والامهات وهو صغير اصفر تزول قشرته بسولة وينمو فيما عدا النواحي القريبة من البحر ويتخمر بسرعة لكثرة سكره واهم موارده البدرشين في الجيزة . والرملي ويتاخر في نضجه ويصير لونه الاحمر اسود حين النضج وينمو بسرعة قرب البحر لا سيما في ضواحي الاسكندرية . وبنت عيشه وهو كبير ثخين مستدير احمر يصير اسود حين الارطاب ونواه صغيرة بالنسبة لغيره . والابريمي ويجلب جافاً من النوبة حيث ينمو بكثرة وهو طويل رفيع قمته سمراء فاتحة ويؤكل جافاً ونواته كبيرة وهو غير مطلوب بكثرة

﴿ اصلاح خطاء ﴾ وقع خطأ في عجز البيت الحادي عشر من قصيدة نابوليون (الصفحة ٤٤٨) فقد جاء فيه « لم يتادى بعدُ » وصوابه « ولم يتوغل بعدُ » فلزم التنبيه

رأي عالم مصري وعالم سوري

﴿ في النهضة الادبية في الشرق ﴾

اما باقي الاجوبة فانها ستنشر في الجزء التالي بسبب ضيق المقام

لو اردنا نشر جميع الرسائل التي وردت علينا جواباً عن اسئلة الجامعة المنشورة في الجزء السابق بشان النهضة الادبية في مصر والشام لاستغرق نشرها صفحات هذا الجزء كله. فلا ريب ان تراكم الاجوبة الى هذا الحد يدلُّ على استعداد الافكار لهذا البحث وان الجامعة قد اصابت به الموضع المؤلم الذي يشكو منه جمهور القراء والكتاب في الشرق. ومن الاتفاق الغريب انه لم ينتشر الجزء السابق حتى وقعت حادثتان محليتان جعلت الجرائد كلها تخوض في موضوع الصحافة وواجباتها وحريتها مما يدخل في البحث الذي نحن في صدده اذا اردنا ضمه اليه. ولكن المجال محدود في هذه المقالة لتكاثر المواد فنكتفي في هذا الجزء بنشر رأيين لعالمين فاضلين كل منهما عَلم في قومه ومنار يستضاء به في عاصمتي الشقيقتين سوريا ومصر. ولو ارادت مصر ان تُنيب عنها رجلاً من ابنائها في عكاظ العلم والادب لما وجدت خيراً من جناب الامام صاحب الراي المصري. ولو رامت سوريا ان تنيب عنها رجلاً من ابنائها في هذا المؤتمر لما وجدت ايضاً خيراً من جناب الاستاذ صاحب الراي السوري. فالكاتبان اللذان يمثلان مصر وسوريا في هذا البحث ممن تفتخر مصر وسوريا بهما وتعدانهما في مقدمة ابنائهما علماً وادباً وكمالاً. وحسبنا ذلك للدلالة على قيمة رأييهما

(راي العالم المصري)

حضرة صاحب مجلة الجامعة الاقلمية

«لعل الجامعة تعني بالصحافة الحاضرة والمجلات والجرائد ما هو منها في مصر وهكذا ينبغي ان يكون السؤال عنها خاصة ولذلك سيكون كلامي قاصراً عليها ولا اذكر ما ينشر منها في غير البلاد المصرية الا اذا دعت الحال الى القياس والمقارنة

من البديهي وان غفل عنه كثيرون ان قيمة ما يُكتب تعلو وتنحط على حسب ما يكون من قصد الكاتب واثر المكتوب في نفس القارىء فان كانت الجريدة او المجلة

انشئت لمقصد نبيل وكان لما يدرج فيها اثر جميل في نفوس قارئيها قدرها قدرها العقلاء وعُدت من حاجيات البلاد او كمالاتها . فان افادت صاحبها مع ذلك غنى في مال او سموًا في مقام او بسطة في جاه كانت كالخلق الجميل ينفع صاحبه و يسر معاشريه والا كانت كالهمة العالية تُتعب من تكون له . وان رفعت به قومه واهله

وقد كان لمصر جريدة واحدة هي الجريدة الرسمية ينشر فيهـا ما كانت تحب الحكومة ان تنشره من اوامرها وقليل من الاخبار الخارجية التي يروق للحكومة درجها فيهـا و بقية صفحاتها كانت وقفاً على مدح امير البلاد و بعض رجاله الفخام . واذا نكب الامير احد اولئك الرجال وجد محرر الجريدة اوسع المجال لذكر مثالبه والنيل منه فكانت قيمة الجريدة بمقدار ما تحتوي عليه ولهذا لم يكن الناس يشتركون فيها الا جبرًا

وانشئت بعض الجرائد والمجلات بعد ذلك ولكنها كانت اشبه بالرسمية . انشئت مجلة روضة المدارس يكتب فصولها اساتذة المدارس و بعض موظفيها وقليل من سواهم ولم يكن الغرض من انشائها الا اظهار كل كاتب ما عنده من العلم على زعمه افهم ام لم يُفهم اخذ القارىء حظًا منه ام لم ياخذ ولذلك ماتت بموت اصحاب تلك الرغبة ولم يرثها احد من الناس . وانشئت جريدة وادي النيل ولها ميل الى الغرض الذي انشئت له روضة المدارس فيما ينشر فيها من الآداب والى الجريدة الرسمية في المدح والهجاء . ولم يكن في عبارتها ما يسر غير ممدوحها ولا يسيء غير من صدر الامر بذمه فيها . ولكن كان في اسلوبها ما لا يسيغه الا ذوق كاتبها رحمه الله لهذا ماتت بموته غير ماسوف عليها من احد

ثم جاء زمن بحوادث غيرت الحال التي كانت عليها مصر من قبل وظهرت في الناس حاجة الى الاطلاع على ما يحدث بينهم فاحس بعض المهرة وطلاب العيش بهذه الحاجة فاسرعوا الى موافاة الناس بما يسدها ولكنهم واآسفا لم يكتنهوا كنه الحاجة ولم يحيطوا بحقيقتها وغلبتهم حاجتهم الى الكسب العاجل فانشأوا جرائد مستقلة عن الحكومة لكنهـا اشتقت من جرائدها فجاءت من نوعها وعلى طريقتها من حيث اضطرارها الى ارضاء الحكام والامراء ومقالاتها في المدح والهجاء . وزادت على ذلك انها كانت في حاجة الى اجابة ما يطلب مشتركوها من ذلك وهم قوام معيشتها فكانت تنال اجرًا من الحكومة على بعض ما يكتب فيها ومن المشتركين على ما يوافق اهواءهم منها وصاحب الجريدة لا غرض له يرمي اليه من تعبه في تحريرها الا ان ينال مالاً او يكسب جاهًا يستثمره في جلب المال . ثم جاء من ينافسه فاتخذه قدوة وحذا في عمله حذوه . فما قيمة تلك الجرائد . هي قيمة الغرض الذي

انشئت له وذاك الغرض ان يعيش محرروها بحق او باطل. هي قيمة اثرها في الناس : وهو صرفهم عن كسب الفضيلة والتحلي بها الى الاكتفاء بذكرها ودفع اجرة نشرها

وانشئت جريدة من الجرائد لغرض سياسي حقيقي اثناء الحرب بين الدولة الروسية والدولة العثمانية . وكان يكتب فيها افاضل معروفون وكانوا يستشيرون العقل والحق والعدل فيما يكتبون . ولكن غلب على الجريدة مع ذلك حب الظهور ولم تجد اليه سبيلاً الا بسب من يعارضها فيما تكتب او يخالفها فيما تقرر خصوصاً ان كان المعتدي عدوها وكان عليها ان تمر به مر الكرام ولكن كان ذلك في طبيعة الوقت فجرت عليه فكنت ترى الجرائد في ذلك الزمن معارض سباب يضحك لمناظرها السفهاء ويبكي من عواقب ما تتقاذف به الحكماء

ثم ظهرت جرائد كثيرة في هذه البلاد لم يدعُ اربابها الى نشرها الا الحاجة الى الكسب سواء كان بتحميلها العامة فمن لم يحملها انتظر ما لا سبيل الى اتقائه من شتم وقذف ام كان بحملها على الحكومة فان لم تمدها بما تريد اتخذت الحرية سلاحاً ظالماً تشق به عن العورات وآلة لقلب الحقائق وتغييرها الى ضلالات وكثيراً ما جرعت العامة ما خدر عقولها وخيل لها انها سعيدة في شقائها . غير ان ذلك لم يمنع بعض تلك الجرائد ان تتخذ لها سبيلاً الى مشرب من المشارب تثبت على وروده سواء كان ما يوافق العامة او يوافق الحكومة . لهذا قويت وصار لها كون مستقل بحيث لو ذهب شخص القائم بها صح لها ان تبقى وان يستمر وجودها اذا خلف الذاهب من يسلك مسلكه . ولكني لا انكر انها مع ذلك قليلة الفائدة لقلة ما يودع فيها مما ينفع الناس ولارضائها العامة بوهم لا حقيقة له

كان هذا شان جرائد الزمن الماضي الى ما يقرب من الحاضر ببضع سنين وبعضها استمر في ذلك الى الآن اما اليوم فامر الجرائد اصبح من اضر الامور بالعامة فانه اذا سدت السبل في وجه العاجز وكان يقدر على صف الكلمات بعضها بجانب بعض بادر الى انشاء جريدة تحت اسم ضخم ونادى في مقدمتها بانه لا يريد الا تقويم العقول وتغذية الارواح ثم شرع في تهديد بعض الاغنياء او الامراء او الحكام بكشف اسراره وابداء عواره لا يريد بذلك الا ان يشتري الناس سكوته

ويعظم هذا الخطر ضعف طبيعة اغلب العامة من هذه البلاد وميلهم الى الهزل وغلبة البطالة عليهم ولا شيء يدعو الى الاشتغال باعراض الناس كالفراغ من العمل ولا يسلي الناقص عن نقصه مثل عيب الكامل بما يُعاب هو به ولا لذة للناقصين تساوي لذتهم

بالحط من الكاملين

هذه العاقبة السيئة التي صارت اليها الجرائد في هذه البلاد لم تذهب على بصيرة بعض الناس قبل الحوادث العرابية وفي اثنائها حتى عملوا على السعي في اعدام الجرائد التي يسمونها جرائد اخبار ليستبدل بها مجلات ادبية لتربية العامة وافادة الخاصة تحت مراقبة من هو اهل لان يراقبها ويكون لها ذيول تجارية فقط تصدر كل يوم ولا عجب كان من ترقب تلك الحالة فانها من الترقي الطبيعي للنشأة الاولى

هذا الذي ذكرته فيما يختص بمعاني ما تنشره تلك الجرائد اما ما هو من ناحية الفاظها واساليبها فذلك مما يُحمد في قليل منها ولكنه يسوء اهل الذوق ويخيف اهل الغيرة على اللغة في الكثير الاغلب فانك ترى اولئك العجزة الضعفاء يخترعون الفاظاً من عند انفسهم يستعملونها فيما يشاؤن من المعاني ويهشمون بناء اللغة تهشيماً فلا يبالون بما يقدمون او يؤخرون لا يرجعون في ذلك الى معجم ولا يجرون على قاعدة فيزيدون اللغة ضعفاً على ضعفها ويصكون وجه الفصاحة ويصفعون قفا البلاغة وما ظنك بامة تهان فيها ملكة العلوم وهي البلاغة

اما المجلات فاغلب ما صدر منها انشيء على ذوق منشئيها اما لكسب المال من قوم مخصوصين تروج عندهم بضاعتها واما لنشر شيء من المعارف بين طبقة خاصة من الناس وهذا القسم انبلها ولكن الفائدة منه ليست عامة وقد يسوء اثره في الناس متى دخل فيه الغلو في مشرب او التفاني في نصرة مذهب والطعن في مذهب آخر بدون تحكيم الانصاف. غير ان المجلات اكثر خيرًا واقل شرًا من الجرائد على كل حال لانها لم تشتق من الشعر القديم القائم على عمودي المدح والهجاء كما اشتقت منه جرائد الاخبار

اما النصيحة للجرائد وللمجلات فهي اولاً ان يمتاز اهل الفضل من اربابها بوحدة تجمعهم وتلصق بعضهم ببعض حتى لا تدع فرجة لدخيل فيما بينهم فيكونوا طبقة خاصة تفرق عند الناس ولا يمنعهم من ذلك الاختلاف في المشرب ولا الضغائن التي تسربت في قلوبهم من المنافسة فلهم ان يستمروا على اختلافهم وان يقيموا على ضغنهم وانما الذي عليهم ان يتلاحموا في الادب ليكونوا عصبة ينصرونه اذا هوجم ويقوونه اذا ضعف ثم يعودون فيما بينهم الى ما يجب كل منهم ان يكون عليه وهذا امر يسوء العقلاء بل هو ما يمتازون به عن الحمق والسفهاء

ثانياً ان ينظروا في جميع تلك الجرائد الاخرى فاذا وجدوا فيها ما يخالف حقيقة او يذل فضيلة او يروج رذيلة او يخالف شريعة او لغة حملوا عليه حملة واحدة ونفروا من

قراءته بكل ما تبلغه الاستطاعة وفي هذا وحده ما يقوي وحدتهم ويحمل النازل عنهم على الالتحاق بهم ومن لم يستطع ذلك كفت الايدي عن تناول ما يكتب خوف العار اللاحق من قراءته فتنضب مادته ويدركه الموت الفاضل قبل الحياة الخبيثة. وان يجتهدوا في تنقية عباراتهم مما يخالف اوضاع اللغة او يخرج عن اساليبها الصحيحة الفصيحة وذلك لا يحشمهم الا مراجعة المعجمات وبعض الكتب من فنون الادب

ثالثاً ان يبعدوا من مجادلة بعضهم بعضاً عن كل ما فيه تعريض بعيب او رمز الى مذمة. وان تتجه مقاصدهم الى تربية فكر يصح ان يكون عاماً في الاهالي ويحملوا الناس عليه كالعمل والاهتمام بما هو من العدل والتعاون على الخير والحق وان يجعل ذلك غرضاً يرمي اليه الكاتب في جميع ما يكتب مع تسهيل العبارة ما استطاع

رابعاً ان ينشىء كل منهم لجريدته شيعة تنصر غرض صاحبها وينصر هو ما تماه في نفوس اعضائها على ان يكون سبيل الجريدة وشيعتها ان يصل الى منفعة ثابتة في البلاد ولا يكون سبيلها كذلك حتى تراعي في العمل حالة الاهالي ودرجات استعدادهم وتدقيق النظر في كيفية قيادتهم الى منافعهم. اما ما عليه ارباب الجرائد المعتبرة الآن من اتباع اهواء العامة فمتى مدحت شيئاً مدحوه ومتى نفرت من شيء نفروا منه او تطلعهم لما يبدو على وجوه بعض الحكام من رضى وسخط فيرضون اذا رضوا ويسخطون اذا سخطوا فذلك مما يجعل الجرائد مزعزعة الاركان ضعيفة البناء تسقط لاول عاصفة تهب عليها من حيث كانت تنتظر السكون

ثم اخص المجلات بامر يجوز ان تشركها الجرائد فيه وهو البحث في عوائد البلاد واخلاقها والتنقيب عن مناشئها حتى اذا عرف ما عراها من الامراض واجيد تشخيصه وعرفت علله واسبابه بُحث في تدبير العلاج النافع له وقُدم الى الانفس بالمقدار الذي تحتمله

هذا ما خطر ببالي الآن ان اقوله والله يوفقكم الى صالح العمل والسلام

(راي العالم السوري)

حضرة منشىء الجامعة الغراء

«الصحافة على الاطلاق ليس من ينكر عظم شانها وفائدتها في المجتمع الانساني. واما الصحافة الحاضرة فكيفما كان حالها هي نوع من الصحافة العامة ويصدق عليها ما صدق على تلك من الفائدة والاهمية ولا يناقض هذا الحكم العام الاجمالي ان يقال هذه الجريدة

مثلاً هي دون تلك او ان هذه المجلة التي يكتبها زيد اكثر مادةً واسمى موضوعاً من التي يكتبها عمرو

اما الواجب صنعه لتحسين حالها فان كان المراد بتحسين الحال ان تبلغ مبلغ الصحافة الغربية (وهذا ما يتبادر الى الذهن) فما ارى الا الايام كفيلة به لانه موقوف على اصحابها ومحرريها من جهة وعلى الامة من جهة اخرى

واصحاب الجرائد كاكثر اصحاب الاعمال العظيمة من شرائطهم ان يكونوا ممن يحسنون ادارة الامور العظيمة بحيث ينفعون وينتفعون بها واما المحررون فان يكون كل منهم ثقةً فيما يكتب يُقتدى به في البلاغة ويُرجع الى قوله ويعول على رأيه في العلم

ولو فرضنا هنا ان اصحاب صحافتنا الحاضرة ومحرريها كلهم ممن تمت فيهم الشروط التي المعنا اليها لم يكف ذلك في ان تبلغ صحافتنا الحاضرة مبلغ الصحافة الغربية من اهمية الشان وعلو المكانة الا ان تكون الامة عندنا مستعدة لهذا التحسين استعداد الامم الغربية له . والمعلوم ان امتنا غير مستعدة لتحمّل حال تلك الصحافة الراقية وعليه فلو حاول بعض من اصحاب جرائدنا ممن هم مستعدون بالفطرة لادارة الاعمال الكبيرة ان يبلغ بجريدته من التحسين مبلغ مثلها في المنزلة من الجرائد الغربية فارصد لها راسمالاً كبيرًا واقام لها من الكتاب رجالاً يُقتدى بهم في البلاغة كما ذكرنا ويُرجع الى ارائهم عند التحقيق فمثل هذا الرجل لا يلبث ان يضيع راس ماله واذا تسامحنا فقلنا انه لا يُضيعه فلا اقل من ان تكون ارباحه تافهة لا يُعتدُّ بها . ورجال الاعمال على ما يُعلم (وعلى ما ينبغي ان يكونوا ايضاً) لا يقدمون على عمل ارباحه تافهة على حين يكون في امكانهم ان يديروا عملاً آخر غيره ارباحه كثيرة

والذي يؤخذ مما ذكرناه اننا لا ينبغي ان نطمع في ان تجاري صحافتنا الصحافة الغربية لكن ذلك لا يمنعنا من النظر في الوسائل الممكنة لترقيتها الى احسن ما يوءذن به استعداد الامة عندنا . وافضل هذه الوسائل على ما ارى ان يكون اصحابها من العارفين حاجة البلاد والامة ومن المخلصين في الخدمة وفوق ذلك ينبغي ان يكونوا من التهذيب والحنكة بحيث يستطيعون ان ينتقوا من المحررين من بهم الكفاءة وان يكتبوا هم ايضاً ويحرروا اذا مست الحاجة

اما النهضة الادبية في الشرق فان قلتُ انها حقيقة استحييت من كثيرين من الافاضل الذين كتبوا الى الجامعه وان قلتُ انها غير حقيقية استحييت من الافاضل الذين

يقولون انها حقيقية . والذي يتراءى لي انها غير اصيلة في الشرق بمعنى ان ابناءه لم يشعروا من انفسهم بالحاجة ابتداء ولا نهضتهم كنهضة مسافر يقصد وجهة معلومة انما ادركه الكلال فنام على الطريق وطالت نومته الى ان ايقظه لذع اشعة الشمس فانتبه مذعوراً من تقصيره فقام يجري لعله يدرك من تقدمه انما هي نهضة دعانا اليها الاجنبي ممن علموا بعض شبابنا في سوريا ومصر فاجبناه وما رايناه ايضاً من عز الاجنبي الذي تهجم علينا في بلادنا فاننا لما رايناه امامنا بمراحل كثيرة في التجارة والصناعة ورأينا ما له فينا من نفوذ الكلمة وعلو المكانة قلده السواد الاعظم منا في ظواهر ترفه من لباس وماًوى وما الى هذين وقلده بعض خاصتنا وهم قليلون في طلب الادب والاشتغال ببعض مسائل العلم والسياسة . ولكن لا يزال خاصتنا هؤلاء مع احترامي لمقدار ما حصلوه مقلدين لعلماء الغرب يقولون بقولهم حتى في المباحث المتعلقة بعوائد الشرقيين واخلاقهم ولغتهم ولعلي مخطئ فاني انما اتكلم عن الطبقة التي انا منها طبقة المعلمين والكتاب الذين يعيشون بطريقة من طرق الاستخدام او ما يقرب منها كتاليف كتاب او ترجمة رواية

على انا نؤمل ان هذه النهضة كيفما كان اصلها تقوى شيئاً فشيئاً وتقويها انما هو بكثرة عدد الناهضين فيها من سائر اصناف الطبقات ولا سيما الطبقة المدبرة على اختلاف مظاهرها فانها اذا نقوت كما اشرنا فلا يبعد ان تنقلب نهضة حقيقية تجري على قاعدة طبيعية مقتضاها الارتقاء تدريجاً

اما نصيحتي الخصوصية للشرقيين واعني بهم اهل سوريا ومصر والعراق العربي فانصح للمشتغلين بالتعليم ان يصرفوا وكدهم الى علم تهذيب الاخلاق وتربية القوى العاقلة والادبية وانصح للمشتغلين بالعلم من المعلمين والاساتذة وغيرهم ان يدرسوا العلوم الطبيعية ويتعمقوا فيها تعمق الثقاة الذين يرجع الى اقوالهم فيها لا يقتصرون على علوم البلاغة والادب . واما الطلبة فان كانوا من ابناء الاغنياء والتجار فانصح لهم بعد ان يحصلوا كل ما في استطاعتهم تحصيله من مبادىء العلوم الرياضية والطبيعية والعقلية والادبية ان يصرفوا وجهتهم الى درس علوم الاقتصاد والتعمق فيها

واما من سوى هولاء من اعياننا ووجهائنا واغنيائنا فلا انصح لهم انما اطلب اليهم ان يكونوا قدوة لنا في الاستقامة وفي الجد والنشاط والبعد ما امكن عن السفاسف وتقليد الغربيين في هاته الظواهر التي لا تزيدنا جاهاً ولا عقلاً انما غايتها ان تؤدي بنا الى الافلاس والمذلة يوماً ما . واكثر من ذلك فاني اطلب بل اضرع اليهم ان يستخدموا

جاهم في كل ما يعود على الامة بالنفع والخير العام ولا سيما في ان يجمعوا اهواءنا المتفرقة ويوجهوا التفاتنا الى جامعة كبرى سياسية تنسى عندها اختلافنا في المذاهب والاديان واختلافنا في الغنى والفقر وما سوى ذلك من اختلاف الجنسية والعوائد والاخلاق فاننا ما دمنا على حالنا هذه لا جامعة كبرى لنا يرتبط بها كبيرنا وصغيرنا . اميرنا وصعلوكنا . عالمنا وجاهلنا . ثقينا وفاجرنا ولا لواء اذا نُصب نتسارع اليه من تلقاء انفسنا كتسارع افراد الامة الانكليزية الذي شاهدناه مؤخرًا في الحرب الترنسفالية . اذا لم يكن لنا هذه الجامعة الكبرى ندافع بها عن كياننا وامتنا فنحن بعيدون عن كل فلاح لا ينفعنا تحسين حال الصحافة ولا يعززنا وجود نهضة ادبية بيننا . بل مقياس منفعة الصحافة عندنا الآن واهمية النهضة الادبية انما هو بالنسبة الى ما ترمي اليه وتسعى فيه من ايجاد هذه الجامعة الكبرى التي نصير بها ابناء وطن واحد واعضاء جسم واحد هو الامة والمملكة

(ثم يلي ذلك ثناء على الجامعة يوجب الشكر لحضرة الاستاذ الكريم لتنشيطه اياها)

﴿ الجامعة ﴾ هذا ما وسعه المجال في هذا الجزء . ولا ريب في ان كل شرقي يتدبر المقال الذي تقدم بامعان واهتمام . وسناتي في الجزء القادم على بقية الاجوبة والرسائل خصوصًا الاجوبة الشعرية اللطيفة التي وردت من الشعراء ونرجو من اصحابها المعذرة لتاخير نشرها . والجامعة مستعدة لنشر كل ما يردها في هذا الموضوع

ولكن مع ضيق المجال في هذا الجزء ننشر جواب رصيفنا « المقتطف » عن المسائل التي نشرناها في الجزء السابق في هذا الموضوع . ومعلوم ان رأي « المقتطف » في هذا الشان رأي من يتتبع سير المشرق خطوة خطوة منذ ٢٦ عامًا . قال

«لا يسعنا الوقت ان نجيب عن كل مسالة منها بالاسهاب لو استطعنا ذلك ولكننا نقول بالايجاز ان للصحافة الآن شأنًا كبيرًا في القطر المصري وقد صار جمهور كبير من الامة يعتمد على الجرائد لبث شكواه لدى ولاة الامور وصار كثيرون من ولاة الامور يلتفتون الى ما تقوله الجرائد فيمتنع صغارهم عن الحيف ويهتمّ كبارهم برفع الظلامات وهذا نراه كل يوم تقريبًا . وصار اهل الزراعة وهم اكثر اهالي القطر يعرفون من الجرائد اسعار حاصلاتهم يومًا فيومًا فلا يخدعهم تاجر ولا سمسار . عدا ما في الجرائد من الاخبار والفوائد التي توسّع المعارف وتنوّر العقول . وما في الصحافة من غث يزول بناموس « بقاء الانسب » ولهذا مات كثير من الصحف التي لا محلّ لها وغيّر بعضها لهجته حتى تناسب احوال العصر .

اما المجلات العلمية والادبية فلا ينكر فوائدها عاقل

«ونصيحتنا لرصفائنا اصحاب الجرائد والمجلات ان لا ينشروا شيئاً الا وهم واثقون تمام الثقة انه صحيح وان من نشره فائدة ما . فاذا فعلوا ذلك زادت فائدتها اضعافاً . ولا شبهة عندنا ان في الشرق نهضة ادبية حقيقية تظهر جلياً من مقابلة حاله الآن بحاله منذ مئة عام او مئتي عام وستزيد ارتقاء ولكن ارتقاءها بطيء ولاسيما في الامم المرتبطة بعادات ومعتقدات تصدُّها عن اقتباس العلوم والفنون الحديثة او تصدُّ نساءها على الاقل . ومن المقرر ان الحكومة لا تستطيع ان تعلّم الامة وترقيها واعتماد الامة على حكومتها من هذا القبيل مجلبة للفشل ولكن الحكومة تستطيع ان تساعد الامة على التعلُّم والترقي ويجب عليها ان تساعدها فتنفق على ترجمة الكتب ونشرها وتعليم النابغين من اولاد الفقراء مجاناً ومساعدة الجماعات التي تنشيء المدارس ومكافأة من ينفع بلاده بتاليف او اكتشاف او استنباط . وربما كان خير ما نفعله ان نرسل وفداً الى بلاد اليابان الفتية يبحث عن سر ارتقائها حتى صارت قرينة لانكلترا ثم يعود الينا بالخبر اليقين »

افريقيا والمسيو هانوتو

﴿ وكلامه الجديد عن الدين الاسلامي ﴾

كأنَّ المسيو هانوتو قد غار من المستر ويلكوكس . فانه كما ان المستر ويلكوكس القى خطبة منذ عدة اسابيع في مصر موضوعها « مصر بعد ٥٠ عاماً » ذكر فيها ما ذكر من المسائل الهامة التي ستتم في نصف قرن في مستقبل مصر كذلك راى المسيو هانوتو ان يتكلم عن المستقبل على سبيل قياس الآتي على الحاضر فالقى في المؤتمر الجيوغرافي الذي انعقد في هذا الشهر في وهران من اعمال الجزائر خطبة تكلم فيها عن افريقيا ومستقبلها وقال في اثناء هذه الخطبة عن الدين الاسلامي ووجوب اتفاق الاوربيين والمسلمين في البلاد الاسلامية كلاماً يجب على كل عاقل ان يمعن فيه النظر . ولذلك نلخص هذه الخطبة بما امكن من الايجاز حرصاً على فوائدها لا سيما ان الخطيب يتكلم عن القارة التي نحن فيها

ولكننا قبل تدوين نبوَّة المسيو هانوتو بشان افريقيا لا باس من تدوين شيء من نبوَّة المستر ويلكوكس بشان مصر . فقد قال المستر ويلكوكس في هذه النبوَّة ان مصر

ستصبح بعد ٥٠ عاماً في عز عظيم . فان سكانها البالغ عددهم اليوم ١٠ ملايين نفس سيبلغ عددهم في هذه المدة ٢٠ مليون نفس . ويُزرع فيها الآن ٦ ملايين فدان من الاطيان اما بعد ٥٠ عاماً فسيزرع فيها ١٥ مليون فدان . وستنتشر السكك الحديدية في افريقيا انتشار الاعصاب في الجسم فيسافر السائح من راس الرجاء الى الاسكندرية على خط واحد . ويتخاطب ابناء اوغنده وابناء مصر بالتلغراف اللاسلكي كانهم في غرفة واحدة . ويقام للمستر سسل رودس تمثال على خط الكاب والقاهرة عند خط الاستواء كما اقيم تمثال لفرديناند دي لسبس على ترعة السويس . وقس على ذلك ما اشبه من الاقوال التي من هذا القبيل

اما المسيو هانوتو فانه لم يقتصر في خطبته على مستعمرات فرنسا كما اقتصر المستر ويلكوكس على مستعمرات انكلترا بل انه ارتفع الى ما فوق المصالح الخصوصيـة ووسع موضوعه فجعل الكلام عاماً افريقيا كلها . وقد ابتدأ اولاً بذكر الاسباب التي حالت دون تمدين افريقيا وجعلتها آخر الاصقاع في التمدن فقال ان الاسباب محصورة في شواطئها الخالية من الثغور المناسبة لحماية السفن وانهرها التي تعترضها شلالات وصخور تمنع السفن من مخر عبابها « والذبابة القاتلة » التي يسمونها تسه تسه لانها تقع على الدواب فتجرحها جروحاً تميتها ولذلك لا سبيل الى نقل البضائع الا على ظهور الرجال وهذا مما ينزل الانسان في منزلة العجماوات . ومسالة الاتجار بالرقيق وما يتبعها من الشقاء وفساد الحال

ثم بحث المسيو هانوتو في هذه المصاعب واحدة واحدة . فقال ان الانسان اقتحم افريقيا اليوم ليمدنها وفي قبضته آلات جديدة ومبادىء جديدة

الآلات الجديدة

اما مسالة الثغور فان فتح ترعة السويس انقص اهميتها وغير وجهها . وسيتمكن العالم من توسيع الثغور الموجودة وفتح ثغور جديدة . واما مسالة الانهر وصعوبة السفر فيهـا فقد تسلط العلم عليها ايضاً وصار يتصرف بمجاري الانهار كما يشاء . وفضلاً عن ذلك فقد اقامت الصناعة لافريقيا فاتحاً عظيماً وهو « السكك الحديدية » . فان هذه السكك ستنتشر في كل حدب وصوب فتنفتح بها داخلية افريقيا الى البحيرات الكبرى التي كانت مقفلة في وجه التمدن . وتقيم على شواطىء هذه البحيرات تمدناً عظيماً

واما مسالة الذبابة القاتلة فقد خلق لها العلم عدوّاً لا تقوى عليه ايضاً وهو : الحديد . فان المركبات الحديدية تنقل البضائع من اقصى افريقيا الى اقصاها دون ان تؤثر تلك

الذبابة فيها . وفضلاً عن ذلك فان العلماء صاروا يجربون مداواة جروح هذه الذبابة بالمصل المستخرج منها وهم يؤملون اكتشاف هذا الدواء قريباً . فاذا تم لهم ذلك احسنوا الى التمدن في افريقيا اعظم احسان لانهم يردون اليه نصف هذه القارة التي تفتك بها هذه الذبابة الغريبة

وقد صار العلم يصرف جهده ايضاً الى شق الغابات الكثيفة المظلمة وادخال نور السماء اليها وتجفيف مستنقعاتها المضرة وصرف المياه من الاماكن التي تكثر فيها الى الاماكن التي تكون فيها قليلة او خزنها الى حين الحاجة واستخراج المياه التي في جوف الارض لارواء سطحها . وربما فكر ايضاً في اصلاح الصحراء نفسها فغرس فيها نوعاً من الاشجار يكون فيه شيء من صلاح حالها

اما الخيرات الكامنة في تربة افريقيا فان اللسان يقصر عن ذكرها كلها . ولو قال قديماً قائل للمرشال (بيكو) الذي فتح الجزائر ان في تربة هذه البلاد (اي الجزائر) مناجم فوسفات كافية لسد النفقات التي انفقت على فتحها لادهشه هذا القول لا محالة . وفضلاً عن ذلك فان في ظلمات الغابات الاستوائية الكبرى مادة هي من اثمن المواد في الزمن الحاضر واريد بها « الكاوتشوك » رفيق الحديد وساعده . ومن جهة اخرى تجد المعادن الماسية والذهبية منتشرة حوالى شواطىء افريقيا في امكنة مختلفة كانها نطاق معدني تنتطق هذه القارة به

ثم ذكر الخطيب ايضاً وجود الزنك والفحم والبترول في التربة الافريقية وقال ان الانسان متى تمكن من استخدام الشلالات فيها اقام حوالى الشلالات في كل اقطار افريقيا كثيراً من المعامل العظيمة التي تكون مصدراً للثروة والغنى . وذكر السكك الحديدية التي تُمد الآن من الشواطىء الافريقية في جميع جوانبها الى داخلها فقال ان فرنسا انفقت في مستعمراتها الافريقية ثلاثة مليارات فرنك لتحسين حالها وانشاء الطرق فيها وان الطرق الحديدية تُوجه خطوطها الآن الى نقطتين عظيمتين . الواحدة بحيرة تشاد والثانية شلالات ستنلي . وغير بعيد ان يُعقد بين الدول اتفاق عام على وضع نظام عمومي لسير هذه السكك في المستقبل وادارتها كما تقتضي مصلحة افريقيا العامة فيصبح بذلك داخل افريقيا عبارة عن خلية عظيمة تشبه خلايا النحل بشدة ضوضاء الحركة والعمل فيها واتجاه قطاراتها من كل الجوانب الى مدن عظمى واسواق عمومية في قلب القارة . وهكذا يتحقق ما جاء في التوراة « فليسكن الله خيمة سام وليوسع بلاد يافث »

وانما يكون الفضل في اقامة هذا التمدن الجديد لابن العصر الذي يتغلب على افريقيا « بالآلات الجديدة العظيمة » لينشىء فيها « اعمالاً عظيمة » طلباً « للارباح العظيمة »

المبادىء الجديدة

اما المبادىء الجديدة الواجب اتخاذها في تمدين افريقيا فهي مخالفة للمبادىء القديمة التي كانت قاعدة للسياسة الاستعمارية في الزمن الماضي . فانه من المعلوم ان الاجنبي في افريقيا لا يستغني عن الوطني قطعياً لحرارة الاقليم فيها . ومن اجل ذلك يجب على الاجنبي ان يتخذ الوطني صديقاً ورفيقاً ويعامله بالقسط والعدل . وانه من العار على التمدن الاوروبي ان لا يتخذ في فتوحاته سواء كانت ناشئة عن مطامعه او عن حاجاته مبدءاً ساميا يرجع اليه في معاملة الشعوب التي تقع تحت حكمه . واول نعمة يجب عليه ادخالها الى افريقيا هي السلم والامن . ولقد ضايق هذا التمدن تجارة الرقيق ويكاد يستاصلها . ومتى تم ذلك وزالت عن تلك الشعوب والقبائل المصائب والنكبات التي كانت تخفي ظهورها فانها تنصرف حينئذ الى الزراعة التي تحبها حباً ما وراءه حب كما قال الرحالة ليفنستون . وهكذا يكون « السلام الاوربي » لهذا العالم الجديد كما كان « السلام الروماني » للعالم القديم . هذا اذا لم تصب الامم المتمدنة الاوربية بجنون هائل يستفزها الى اعادة بذور العدوان والنزاع الى هذه الارض التي لم يمر عليها زمن طويل وهي خالصة من شرور الحروب

وكما اننا مدينون لهم « بالعدل والسلم » فاننا مدينون لهم « بالتساهل الديني » ايضاً . ولست اشير الى هذا الموضوع الخطير الذي له علاقة بكل ما يثير النفس البشرية الا اشارة خفيفة . فاقول ان التمدن الاوربي يجد في طريقه في افريقيا ولا سيما في شمالها ذلك الدين القديم العظيم الذي هو دين الاسلام والذي هو في هذه الجهات (شمال افريقيا) اكثر نشاطاً منه في غيرها . وهذا الدين يدعو الى اله واحد ويجعل الايمان بالتوحيد مصدراً لكل الفضائل الذاتية والاجتماعية ويستولي على المؤمن به استيلاء شديداً فلا يعود قادراً على التفلت منه . فعلينا واجب التساهل في هذا الشان . بل لا يكفي التساهل في ذلك ولكن يجب ان ندرس هذا الدين ونبذل جهدنا لفهمه . ومن واجباتنا ان نتخذ الحديث الاسلامي « لا اكراه في الدين » شعاراً لنا لا نخرج عن حدوده وان نحترم الدين الاسلامي ونحميه من كل طارىء . وحسناً نصنع اذا كنا نذكر في هذا المقام كلمة للامير عبد القادر وهي تشبيه اصحاب الشرائع الثلاث بثلاثة اخوة من ثلاث امهات .

ثم قال المسيو هانوتو ان العامل الثالث في تمدين افريقيا (غير المبادئ الجديدة والآلات الجديدة) هو العمل . ولكنه لا يريد بذلك العمل المضجر الشاق الذي يكرهه العامل بل العمل المحبوب الذي ياتيه العامل منبسط النفس قرير العين . فقال ان افريقيا بلاد زراعية وهي ستكون للامة التي تكون اقدر من غيرها على زراعتها واستمالة سكانها . وبناءً على ذلك فهو يكره سياسة الفتح فيها و يطلب سياسة الحماية (كتونس خلافاً للجزائر) — ثم اثنى على مستعمرة الجزائر وقال انها اعظم مستعمرة اقامها التمدن الاوربي في القرن التاسع عشر . ولقد سرى سناؤها الى تونس فانجذبت اليها والى مراكش فاستمالت قسماً من سكانها . ثم حث عناصرها المختلفة بين مسلمين وكاثوليك و بروتستانت واسرائيليين على الاتفاق لترقية البلاد ونبذ الضغائن التي هي من آثار العصور الماضية والا وقعوا في العقاب الذي وقع فيه ابناء العصور الماضية اي الجهل والفقر والشقاء . وختم خطبته بما خلاصته :

«ويحق لنا ايها السادة ان نتامل في عبر التاريخ العظيمة . فان التمدن الذي رحل الى اقطار العالم عن هذه البلاد (افريقيا) فداخذ الآن يعود اليها . ولكنه يجدها اكثر شقاءً وخشونة مما كانت قبل رحيله عنها . على انه قد جمع في سياحته هذه آلات جديدة وسلطة قوية يقدر بها على محو الخشونة والشقاء الماضيين . فعسى ان الامم المتمدنة في اقدامها على اجراء هذه التجربة الكبرى في ارض حام تحفظ من كل الوجوه قواعد النظام الذي وضعته وناموس العدل والاخاء والانسانية »

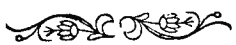

مراسلات بين بنات شرقيات

﴿ لايجوز ان يقرأها احد غير القارئات ﴾

« من مصر القاهرة

" عزيزتي كليمة .

« يسافر من عندنا في هذا الاسبوع ابن عمي « كريم » للتصييف في اعالي لبنان . ولذلك اغتنمتُ هذه الفرصة لاكتب اليكِ واسالكِ لماذا مضتْ عليَّ عدة شهور دون ان تكتبي لي . هل هذا نسيان ام كسل ام دلال . فان كان كسلاً او دلالاً فلكل شيء حد ياعزيزتي . وان كان نسياناً فلا ريب عندي ان اقامة ابن عمي كريم في وطنك

تجعلكِ تذكريني دائماً بعد الآن .... فلا باس . انما اؤمل منك ان لا تجافي كريم كما تجافين غيره جرياً مع اخلاقك ... فهو اولاً ابن عمي وقد جاء في المثل « ان صديق صديقي صديقي » وثانياً انه شاب لطيف ظريف لا عيبَ فيه سوى انه قادر على ارضاء كل سيدة وكل مدموازل تراه فهو اذاً يستحق التفاتك يا كليمتي . ثم اسالك هل تحبين ياعزيزتي الاقامة في مصر لنعيش هنا معاً . اذا كنتِ تحبين ذلك فدعي كريم يعجبك... واللبيب من الاشارة يفهم . والسلام لك من صديقتك

« سليمه »

حاشية — مزقي هذا الكتاب بعد قراءته

« من الحدث في جبة بشراي في اعالي لبنان

« عزيزتي سليمه — في مصر القاهرة

اخطأتِ ياعزيزتي فما هو بكسل ولا دلال ولا نسيان ولكني بعد انتهاء دروسي في المدرسة تراكمت عليَّ افكار سوداء فتركتُ قريتي وصعدتُ الى هذه القرية لعلَّ النفس تصفو من كدرها في اعالي الجبال القريبة من ابواب السماء . ولقد ساءني كتابك جداً لانه دلني على انك لا تزالين كما كنتِ من حيث المزاح والهزل . وعلى افتراض انني افكر بالامر الذي ورد في كتابك فهل تظنين انه يجوز لبنات مثلنا ان يتكاتبن فيه . كلا ياعزيزتي فان هذا الشغل ليس بشغلنا . سامحك الله على كتابك كما انني ارجو ان يسامحني على الافكار التي تجول في نفسي

«وان قلتِ ما هذه الافكار لم اكتمها عنكِ . فانني لما خرجتُ من المدرسة كنتُ كسمكة خرجتْ من الماء الى عالم غريب عنها . نعم ان ابي غنيٌّ واسع الثروة ولكن اي تاثير للغنى في تهدئة خاطر الانسان وتسكين نفسه . فبناءً عليه بقيتُ قلقة مضطربة حتى في وسط الابتهاج والفخفخة . ذلك لانني افتش عن الراحة والسعادة فلا اجدهما . فاين توجدان ياترى ؟ افي السوق . انني حيثما التفتُ فيه اجد ابتساماً ولطفاً ولكنه ابتسام مسموم ولطف يلدغ كالافعى . افي الجمعيات والسهرات ؟ ولكني قد صرت اشمئز منها لما اراه فيها . فانني افرُّ من كل صاحبة تلقاني هناك فراري من العقرب لانني اخشى ان تلدغني بلسانها متى ادير لها ظهري . واهرب من كل شاب القاه هناك كما اهرب من ذئب مفترس . استغفر الله بل من حيوان اشد قسوة من الذئاب لان الذئاب الاعتيادية

لا تفترس غير اللحم واما الذئاب الناطقة فانها تفترس الصيت والشرف والادب

«ومما يزيد شجني انني لا اجد احداً « يفهمني » بل ان الجميع يستغربون انكماشي الدائم وانقباضي . وهم يسالون بعضهم بعضاً احياناً لماذا تجلس المدموازل كليمة في الزاوية مبهوتة وحدها . ولماذا اذا خاطبوها لاتجيب الا ببسمة صفراوية معناها « خلوني وحدي » . ولماذا اذا ابتسم لها شاب تصرف وجهها عنه من غير ان تجاوب عن ابتسامه بابتسام مثله؟ السبب في ذلك ان كليمة لا تطيق هذه الهيئة التي يعيش الناس فيها الآن . فدعوها منكم ومن قبوركم المكلسة . اف اف من السيدات المسترجلات اللواتي يرمن الظهور بمظاهر الرجال والرجال المتأنثين الذين يرومون الظهور بمظهر السيدات

« ولو كانت امي وا اسفاه لا تزال في قيد الحياة لكنت اجد في المسرات العائلية الطاهرة ما ينسيني تلك الاحزان والاشجان . ولكنها ماتت من سوء حظي منذ سنتين . ماتت وهي تقول « ستبقى كليمة وحدها » ولقد صدقت فانني الآن وحدي لا رفيق لي غير ابي . ولكن الاب مهما كان حنوناً فانه لا يقوم مقام الوالدة

« هوذا قد سقطت هنا على الورقة دمعة من عيني . فماذا اصنع بها فانها ما نزلت الا تذكاراً لامي . أامسحها بيدي . كلا فانها تتوسخ بالحبر و بتوسخها يتوسخ تذكار «ماتي» . اطيرها بخاراً بوضع الورقة فوق حرارة النار . كلا واي يد تجسر على احراق تذكار حبيبتي . فانا اذاً اتركها حتى تجف على الورق ثم اقبّل موضعها اكراماً للغائبة التي سقطت من اجلها . واذا رمتِ تقبيل الموضع الذي قبلته انا لتمس شفتاك شفتيّ فضعي فمك على كلمة « الوالدة » في ختام الفقرة الماضية . ولكن فاعلمي انك بذلك لا تقبّلين دمعتي فقط بل تقبلين ايضاً والدتي

« لماذا وُجدنا في العالم ياترى ؟ ولماذا جاءت امي الى هذه الارض ثم رحلت عنها ؟ هل كان مجيئها لتترك بعدها فتاة ضعيفة مثلي تبكيها وتبكي نفسها ؟ ما هذه الحياة ؟ وما الغرض من المعيشة ؟ ولماذا ارى الدنيا هكذا سوداء في عينيّ ؟ وهل كل الناس ياترى في قلوبهم مثل هذا الجفاف وفي رؤوسهم مثل هذا القلق وفي عيونهم مثل هذه الدموع ؟

« ان نفسي تحدثني احياناً بدخول الدير ولكني اعود فاقول ان الدير وُجد لتبريد النفوس الحامية وتسكين القلوب المتقدة لا لفتاة مثلي تظنينها وهي في وسط الهيئة الاجتماعية كانها في دير منفرد على قمة جبل

« فمن كل ذلك تعلمين ايتها العزيزة سبب انقطاعي عن مكاتبتك وحالة نفسي في الزمن

الحاضر مما يجعلك تعتقدين بانني بعيدة عن الامر الذي تذكرينه في كتابك بعد الارض عن السماء . وبما انني ذكرت السماء في ختام كتابي كما ذكرتها في مقدمته فاسالي معي الهنا الذي منه اتينا واليه نعود ان يحسن خاتمتي . ودمتِ لصديقتك

« كليمة »

« من مصر القاهرة الى الحدث

« عزيزتي كليمة

« الحق اقول لكِ ياعزيزتي انني لم افهم شيئاً من كتابك . ماذا تقولين ؟ هل من كانت مثلك تهرب من الناس لانه لا يسرها فيهم شيء . ولم تفهم لماذا وجدت . وتطلب ان تدخل الدير . لقد صدق فيك ياعزيزتي المثل القائل « الله يبعث اللحم لمن ليس له اسنان » . وهكذا انت مع غناكِ . كيف تجدين الحياة سوداء وفي يديك من الاصفر والابيض ما يجعلها كلها بيضاء وصفراء وحمراء . هذا امر لم يُسمع به قبل الآن . فاطردي هذه الافكار من راسك ياعزيزتي وعيشي مثل باقي الناس

« بحياتك قولي لي ما الذي ينغص عيشك هذا التنغيص مع وجود كل الاسباب الداعية الى سعادتك . هل ان الخياطات عندكم لا يعرفن كيف يُلبسن جمالك المحبوب ام ان الاقمشة الجميلة النفيسة نادرة الوجود في اسوافكم . قولي فارسل اليك في اول وابور انفس الاقمشة واذا شئتِ « شحنتُ » لك خياطة ماهرة ايضاً . . ولاعجب ان تسوأ حالة اللبس في بلادك فان الفتاة جمالها في لبسها . وهنا مسالة اللبس ياعزيزتي فوق كل مسالة . ولا تستغربي قولي هذا لان على هذه المسالة الصغيرة في حد ذاتها تتوقف مسائل كبيرة جداً . فان الشبان لا يميلون الى المدموازيلات الا بواسطة التنميق والتزويق . فالتي تروم ان تصطاد بسرعة على خاطرها تصرف كل نشاطها واجتهادها الى لبسها . هكذا يعتقد بعض البنات هنا . ولعل هذا الاعتقاد شائع في كل مكان ايضاً

وان لم يكن هذا هو السبب فما السبب اذاً . هل ان اباك يضيق عليك ويمنعك من المخالطة والمعاشرة كما تشائين . هذا امر سهل اصلاحه . ويكفي لذلك ان يجالس ابوك ابن عمي (كريم) مرة واحدة فيعلّمه (كريم) ان ذلك العصر قد مات من زمان وان العصر اليوم عصر الحرية والامان

«وماذا بقي ايتها العزيزة . اليس عندكم بالآت ومنتزهات لتظهري فيها جمالك الساحر وقوامك الفتان وتقتلي السئامة والضجر . اف من القعود في البيت و ياما احلى الخروج منه لتزيين الشوارع والاسواق مع باقي السيدات . فلعلك ياحبيبتي تزينين في كل صباح ومساء ربى لبنان اذ تتنزهين بين اشجاره وازهاره لطرد الانقباض من صدرك فارى من ههنا تغامز الطيور عليكِ وهي واقفة على اشجار الارز حين مرورك من تحتها . واسمع الازهار تنكس رؤوسها خجلاً منكِ حين مرورك بينها

«فهل ياعزيزتي يجوز لفتاة سعيدة مثلك محبوبة الى الناس والى الطبيعة مثل هذا الحب ان تترك الحزن والقلق يدخلان الى نفسها . ام هنالك سبب آخر تكتمينه عن صديقتك ومحبتك . افتحي لي خبايا قلبك ياعزيزتي واعلمي انك تخاطبين مَنْ هي اصدق لكِ من شقيقتك « سليمه »

باب التربية والتعليم

يكون الرجال كما يريد النساء
فاذا اردتم ان يكونوا عظماء وفضلاء
فعلموا النساء ما هي العظمة والفضيلة

ليست وظيفة المدرسة مقصورة على
تعليم العلوم فقط فان بث الفضيلة
والاقتدار من اخص وظائف المدرسة

اللغة العربية الجديدة

﴿ واللغة القديمة ﴾

(ما في اقتراح المستر ويلمور من الصواب)

اتينا في الجزء السابق على تفصيل المناظرة التي جرت في القطر بشان ما اقترحه المستر ويلمور من وضع اللغة العامية في مصر موضع اللغة الفصحى في تعليم الشعب المصري والكتابة له . وذكرنا ردود مناظريه عليه ونقضهم اقواله . ثم قلنا في ختام ذلك الفصل ان في اقتراح المستر ويلمور عبرة وفائدة ووعدنا بذكر هذه العبرة والفائدة وانجازًا للوعد نقول

يزعم بعض فلاسفة العمران ان في كل قولٍ حتى ما كان منه خطاء شيئًا من الصواب . واقتراح المستر ويلمور هو من هذا القبيل . فانه خطاء محض اذا نظرتَ اليه من جهة